مجلة انتحاء

دورية أكاديمية محكمة نصف سنوية تعنى بقضايا اللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات

تصدر عن قسم الأدب العربي

بالمدرسة العليا للأساتذة بورقلة الجزائر

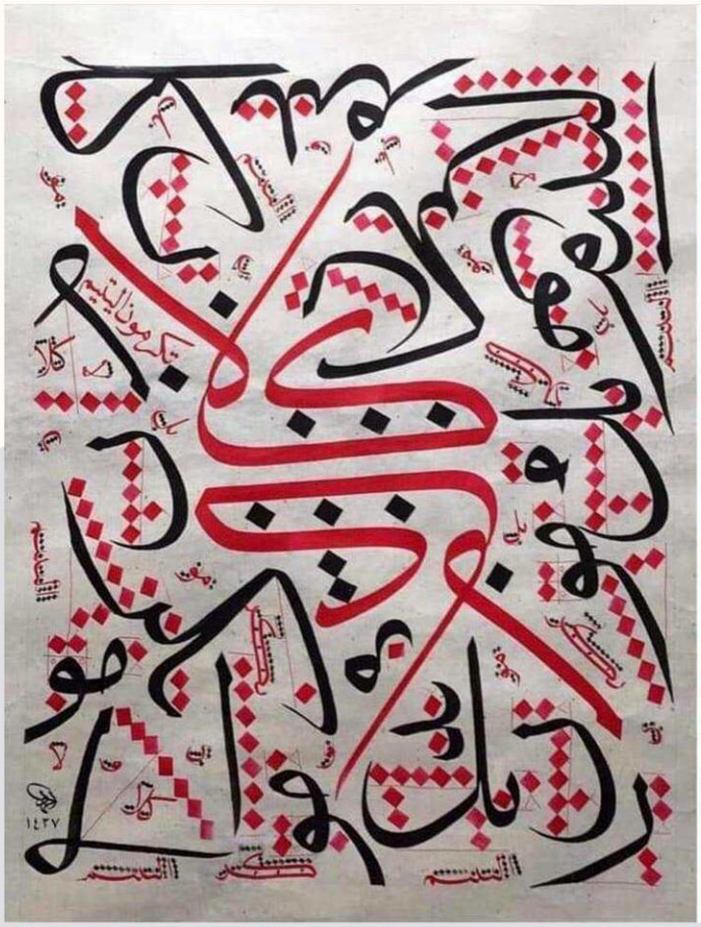

]ISSN

مجلة انـــتـــحـــــــاء

مجلة علمية أكاديمية محكّمة فصلية تُعنى

بقضايا اللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات

ISSN:

EISSN :

المجلد: الأول- العدد الأول

مارس 2024م

رئيس التحرير

د، فتيحة مولاي(المدرسة العليا ورقلة)

رئيس اللجنة العلمية

أ،د بلقاسم مالكية(المدرسة العليا ورقلة)

الهيئة العلمية

أ.د سعد عبد العزيز مصلوح قسم اللغة العربية وآدابها (جامعة الكويت).

أ،د، سعيد أحمد بيومي(جمهورية مصر العربية)

أ.د محمد حسين مليطان (جامعة مصر اتة) .

أ.د مشري بن خليفة (جامعة الجز ائر2)

أ.د عماد عبد اللطيف (جامعة الدوحة قطر)

أ.د جورج غريغوري قسم الدراسات العربية (جامعة بوخاريست رومانيا).

أ.د محمد يونس علي (معهد الدوحة للدراسات العليا قطر).

أ.د عبد اللطيف السلمي (جامعة جدة المملكة العربية السعودية)

أ.د عبد العزيز عبد الباري (الجامعة الإسلامية العالمية القاهرة مصر).

أ.د إلهام المفتي كلية التربية الأساسية (جامعة الكويت)

أ.د حمّام بلقاسم (جامعة الملك فيصل السعودية)

أ.د محمود محمد قدوم (جامعة بارتن تركيا)

أ.د سعاد بسناسي (جامعة وهران)

مساعدو التحرير

أ.د. محمد الأمين حجاج (المدرسة العليا ورقلة)

أ،د. كريمة رقاب

د. زينة بورويسة(المدرسة العليا ورقلة)

إسماعيل سويقات

د. زكية عرعار(المدرسة العليا ورقلة)

د. حسين الأقرع(المدرسة العليا ورقلة)

د. عيسى تومي(المدرسة العليا ورقلة)

د. هند تمار

د. سامية قاع الكاف (جامعة الجزائر2)

عائشة برارات (جامعة غرداية)

أ. عبد الرحيم شنين

سكرتير التحرير

د. زينة بورويسة

الإيداع القانوني

دليل المؤلف

تنشر المجلة المقالات والمقابلات ومراجعات الكتب العلمية

1. تقبل المجلّة الأبحاث غير المنشورة ورقيا وإلكترونيا وغير المستلّة من الرسائل الأكاديمية والتي لم تقدّم إلى جهات أخرى لأجل النشر، ويتعهّد المؤلف بذلك.

2. إجراءات تقديم المقالات

ندعو كافة الباحثين الراغبين في نشر أبحاثهم في اللغة والأدب العربيين في مجلة المدرسة العليا للأساتذة بورقلة إلى الالتزام الكلي بالتعليمات الواردة في ملف التعليمات وشروط النشر، كما يجب أن تُرسل جميع المساهمات للنشر حصرا عبر البريد الإلكتروني المهني للمؤلف وإلى حساب المجلة على منصّة المجلات العلمية الجزائرية

3. توجيهات للمؤلفين:

ندعو المؤلفين إلى قراءة التعليمات التالية بكل عناية:

- ✓ الاطّلاع على دليل المؤلف والذي يحوي أخلاقيات البحث العلمي والنشر، حقوق المؤلف الخاص بالمجلة والتعهّد بأصالة البحث من خلال هذا الرابط أو صفحة المجلة الإلكترونية intihaa@ens-ouargla:dz
- ✓ تقديم المقالات المقترحة بصيغة الوورد(Word doc)
- ✓ احترام نموذج المقال (القالب) المتوفر في الصفحة الإلكترونية للمجلة وإعداد البحث مطابقا له بتنزيله من خلال الرابط الخاص بذلك
- ✓ بعد إعداد المقال وفق القالب الذي يتمّ تحميله يتمّ الضغط على أيقونة (إرسال مقال) لإرساله.
- ✓ بالضغط على الأيقونة تظهر للمؤلف استمارة تتضمن بيانات المقال والمؤلفين؛ العنوان، الملخص باللغتين، الكلمات المفاتيح، الاسم الكامل للمؤلف، بريده الإلكتروني المهني، مؤسسة الانتماء. بعد ملء كل البيانات وتحميل المقال على الموقع الإلكتروني، يتمّ الضغط على أسفل الاستمارة على أيقونة (إرسال مقال)
- ✓ **إشعار باستلام المقال**: في حال نجاح الإرسال يتلقى المؤلف في بريده الإلكتروني رسالة استلام آلي.
- ✓ **المعاينة الأوليّة للمقال:** تتمّ عملية المعاينة الأولية، وهي معاينة شكلية سريّة من الطرفين؛ المؤلف والمحكّم لمطابقة المقال للمعايير الشكلية وفق النموذج المنشور إلكترونيا.
- ✓ **الإشعار برفض المقال أو قبوله**: إذا تبيّن أنّ المقال لا يحترم قالب المجلة وشروط النشر يتمّ إشعار المؤلف برفض المقال، وإذا كان الأمر عكس ذلك سيتمّ قبوله ومواصلة بقية المراحل.
- ✓ **تحكيم المقال**: بعد التأكّد من احترام المواصفات الشكلية، يتمّ تحكيم المقال بشكل سري من الطرفين؛ من طرف محكّمين متخصّصين خبيرين اثنين على الأقل بعد تشفيره وإغفاله. وبعد التحكيم النهائي يُرسل قرار النشر أوعدمه أو بالتحفّظ إلى المؤلف المرسل.

- ✓ **فترة تقييم المقال:** تمتدّ فترة التحكيم 30 يوما وتُمدّد مرة واحدة بـ 15 يوما من أجل إرسال تقرير الخبرة في حال اختلاف قرار المحكمين في نتيجة التحكيم إذ يُرسل المقال إلى محكّم ثالث.

4. **الانتحال والسرقة العلمية**

تعتبر السرقة العلمية كيفما كان حجمها أو شكلها سلوكا غير أخلاقي وغير قانوني يحاسب عليه القانون ويتعرّض صاحبها لتبعات قانونية وفق ما هو معمول به.

تقديم المجلة

انتحاء دورية أكاديمية علمية محكّمة نصف سنوية تُعنى بقضايا اللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات تصدر عن قسم اللغة والأدب العربي بالمدرسة العليا للأساتذة بورقلة- الجزائر، تنشر البحوث النظرية والتطبيقية والميدانية، وهي مجلة منفتحة على مختلف التخصصات، تفتح صفحاتها للأعمال البحثية المختلفة ذات الأصالة والعمق والجدية والحداثة، والتي تضيف الجديد من المعرفة في ميدانها، تستقبل الأبحاث من داخل الجزائر وخارجها وباللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية. يتمّ تحكيمها بشكل سري من طرف محكّمين متخصّصين.

وعليه فكل من يريد المشاركة بعروض لكتب أو بقراءات نقدية أو بأخبار علمية، يجد له فضاءاً فيها. إذ نسعى في هذه المجلة إلى المساهمة في ترقية البحث العلمي وتثمينه وتشجيع النشر في مختلف المجالات العلمية.

مع شكرنا الجزيل لكل الفريق التقني و لجنة التحرير وكل من يشارك من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا الإنجاز العلمي.

انتحاء هو اسم هذه المجلة ورد في التفاتة ذكية لـ"ابن جني" وهو يعرّف النحوَ بأنّه « انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق مَن ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة» يشير إلى سرّ من أسرار حياة الإنسان، إنّه اللغة، التي يتّجه الإنسان نحوها، فيمارس فعل الانتحاء الذي يمكّنه من عناصر اللغة، ومن ثمة يحقق له الانتماء إلى أهل تلك اللغة أصلا أو إلحاقا، و اللغة هنا لا تكون محصورة في المستوى اللساني وحده، بل لها

مستويات عدة، تتحقق عبر علم النحو في مفهومه الواسع، المرتبط بفعل الانتحاء، و هذه الستويات هي:

1. المستوى اللساني الذي يمسّ القواعد اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.
2. المستوى البلاغي ويمسّ قواعد الاشتغال الميداني للغة، والتي ترتبط بمفهوم المقام في أبعاده الثقافية والمعرفية.
3. مستوى آداب الخطاب، ويتضمن أخلاقيات الكلام وآدابه المستمدة من أعراف المجتمع، والمنسجمة مع المواقف التخاطبية، التي يجد المتكلم نفسه فيها.
4. تعلّم اللغة وتعليمها، وذلك عبر الاكتساب العفوي لها، من خلال التنشئة الاجتماعية للإنسان منذ ولادته داخل الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها، أو عبر المؤسسات التربوية التي تعزّز هذا الاكتساب للمتحدثين باللغة الأم، أو في اكتسابها من طرف الأجانب الراغبين في تعلمها.
5. مستوى الانتماء، فاللغة تمنح الإنسان جزءًا من هويته، وتمكّنه من التواجد داخل النسق الاجتماعي والثقافي والسياسي للجماعة التي ينتمي إليها، كما أنّ تعلّم الإنسان للغة الآخر يُوجِد فضاءً وفرصا للتعارف والتواصل وتبادل القيم والأفكار والمعارف، وخلق جوّ من التفاهم والتعايش معا.

مجلة الانتحاء تركّز على هذه الأبعاد كلها، لذا فهي تفتح مجال البحث واسعا، أمام العلوم الإنسانية في تعاملها مع اللغة، و العلوم اللسانية والتعليمية، لتكون المجلة نقطة التقاء وتفاعل وتكامل معرفي مثمر بين هذه المجالات البحثية كلها.

وتجمع المجلة بين اسمها و رؤيتها العلمية في ثنائية لا تنفصل، فالمتتبّع لاسمها "الانتحاء" في معاجم العرب القديمة ومعاجم العلم الحديثة يجد معناها لصيقا بالتوجّه القصدي والممنهج نحو الأفضل في محاولة لبناء النموذج الأصحّ، من ذلك انتحاء الولد لنحو والده، وانتحاء الكائن الحي نحو مؤثر ايجابي يمنح له الحياة كالضوء و الحرارة و الماء، و ذلك ما ترومه المجلة التي وُضِعَت على مبدأ الانفتاح على العلوم و الانتحاء نحو ضوء العلم أينما

كان، و الاتجاه نحو التكامل المعرفي الذي يقاربها من موجبات الكمال العلمية. و عليه فقد سطّرت المجلة لنفسها جملة من الأهداف تسعى لتحقيقها:

1. تحقيق مبدأ انفتاح اللغة العربية، من خلال التفاعل المعرفي مع مختلف التخصّصات العلمية كعلم الحاسوب، و الرياضيات، والطب، والقانون ...
2. توطين اللغة العربية في البحث العلمي الحديث انطلاقا من مبدأ أن قوة اللغة في قوة البحث العلمي الذي تقدمه.
3. تحقيق الأمن اللغوي والثقافي للمجتمع العربي من خلال إنتاج العلم و المعرفة باللغة العربية.
4. تحقيق ثنائية الجِدّة/ الجدية في طرح الموضوعات.

فهرس المحتويات

عنـــــــــوان المقـــــال	الصفحة
دليل المؤلف	**6-5**
تقديم المجلة	**9-7**
التعالق اللسانيّ القانونيّ قراءة بينيَّة د. **عامر محسون هادي الفتلي**	**31-10**
السياسة اللغوية في الجزائر بين إفرازات الاستعماروعهد الاستقلال – مجال التعليم والتكوين أنموذجا **د.محمد نبيل بوعافية و أ.د. إسماعيل سيبوكر**	**47-32**
الاستقلال اللغوي: جذوروامتدادات د. زكية عرعار	**59 -48**
هيمنة اللغات الأجنبية على لغة البحث العلمي العربي بدل العربية (الضرورة والخطورة والتحديات) د. سعاد شرفاوي	**76-60**
أعظم عقلية علمية في تاريخ البشرية أ. كوثر بركة	**96-77**

Journal
Available online at:intihaa@ens-ouargla.dz
المجلد (1) العدد(1)(2024): رقم صفحة البداية10 – رقم نهاية الصفحة31 :ISSN

التعالق اللسانيّ القانونيّ
قراءة بينيَّة
Linguistic legal correlation

د.عامر محسون هادي الفتلي
جامعة كربلاء العراق
alaabamaam@gmail.cmo

تاريخ الاستلام:2023/11/20. تاريخ القبول: 2023/12/10. تاريخ النشر: مارس 2024

ملخص:

تنطوي وجهة النظر في هذا البحث في الوقوف على أوجه التعالق اللساني القانوني؛ فتارة تكون في الأسس الفكرية، وأخرى بأوجه استثمار مناهج أحدهما للآخر، فنلحظ تقاربا في البنية الفكرية من مستويات متعدِّدة، تنبع من البنية العميقة للتفكير الإنساني، ربما لا يقف أرباب التخصّصين على تلك المشتركات في التفكير ما داموا غير مكترثين، أو ناظرين إلى تلك المساحة المشتركة بينهما؛ وما نريده في هذا البحث أو نهدف إليه تسليط الضوء على التعالقات الفكرية؛ ليكون هذا المفهوم هو مشغل المطلب الأول. ويكون مشغل المطلب الثاني التعالقات المنهجية عَبْر مقاربات نُظهر منها بعض مواطن الالتقاء، فضلا عن إمكان الإفادة من المناهج بإعمال مناقلات منهجية تسهم بإظهار الخيوط الفكرية المشتركة، وسحبها من حقل إلى آخر. وقبل الدخول في صلب البحث لابُدَّ من مطلب تمهيدي نسلط

الضوء فيه على التعريف بالقانون بعنوان (مهاد قانوني وبيني).وقد سلك البحث في منهجه مسلكا شموليا؛ فوظف المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي والمقارن.

أما أهم النتائج التي بانت من البحث فهي: إمكان إقامة مناقلات منهجية بين القانون واللسانيات؛ لتسهم في رفد كلا الجانبين بتفكير جديد يُسْتَثْمَر من أحدهما للآخر، وقد ترتَّب على هذه النتيجة أنْ قدَّمَتْ هذه الدراسة مشروعا علميا بينيا جديدا، هو (علم القانون الجغرافي)، عبر مناقلة منهجية جرت على هدي اللسانيات الجغرافية، وقد قدَّم الباحث نتيجة لذلك خريطة نظرية كشفت عن أعمدة هذا العلم، وطرائق الإفادة منه.

الكلمات المفتاحية: تعالق، لسانيات، قانون،قراءة، بينية.

Abstract

This research discusses the linguistic-legal intersections, sometimes rooted in intellectual foundations and other times in utilizing linguistic methodologies for legal applications. The intellectual structures exhibit convergence stemming from the deep structure of human thinking. The aim of the research is to shed light on these intellectual intersections, with this concept serving as the primary driver of inquiry. The research also addresses methodological intersections through approaches that highlight shared points and contribute to using methodologies to reveal common intellectual threads and transfer them across different fields. Before delving into the heart of the research, it is necessary to clarify the concept of law as a "legal and linguistic cradle." The research adopts a comprehensive approach, employing descriptive, analytical, historical, and comparative methodologies.

The main findings of the research lie in the possibility of exchanging methodologies between law and linguistics, enriching the thinking of each with the other. This has led to the presentation of a new scientific project, namely "Geographic Law Science," through the exchange of methodologies drawn from geographic linguistics. The researcher has presented a theoretical map revealing the principles of this science and ways to benefit from them.

Key words: Correlation1, Linguistics, Law, Reading, Interdisciplinarity

1. مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، والحمد لله ربِّ العلمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

فاللغة وعاء الفكر، وشكله المُعبّر عنه، وأداته التي تظهره من القوة إلى الفعل، وتؤطره بأطرها الخاصة على وفق نظامها وضوابطها، والقانون أحد أوجه التفكير الدقيقة المنظمة لحياة الإنسان، وهو بهذا المعنى به حاجة للتعبير عن نصوصه المنظمة لإبرازها للمجتمع كونه موجها إليه. يتكون الخطاب القانوني على وفق مفهومين، هما: المحتوى، والشكل؛ يختص الأول بالمفاهيم أو العلوم القانونية التي تشكل التفكير القانوني، في حين أنَّ هذه المفاهيم تحتاج إلى قوالب تُصبُّ بها أو أشكال تتمظهر فيها؛ فكانت اللغة هي الشكل أو القالب الذي يتمظهر فيه التفكير القانوني.

وبناء على علاقة القانون باللغة نحاول في هذا البحث رصد التعالقات بين التفكير القانوني واللغوي عبر إجراء المقاربات بينها بدءا من النشأة وانتهاء بنقل المناهج والمقولات من اللسانيات إلى القانون، الأمر الذي يدل على تداخل التفكير بينهما إلى درجة تسمح لنا بالقول باعتماد القانون على اللغة اعتمادا لا يقف على توظيف اللغة في الصياغة فحسب، بل يمكن له اقتراض المناهج منها ليدخل في توليد جديد للعلوم بما ينسجم ونظامه الداخلي العلمي .

وتنتمي هذه الدراسة إلى مساحة تقع بين القانون واللغة تسمى بالدراسات البينية؛ لأنَّها تجمع بين حقلين علمين يتسع كل واحد منها لعلوم متعددة، تتصل بالعلوم الطبيعية فضلا عن العلوم الإنسانية؛ فتتضافر هذه العلوم المنبثقة عن الحقلين الرئيسين فيما بينها لتنتج رؤية مشتركة هدفها خدمة الإنسان، والحفاظ على سلامته الجسدية، والمعنوية التي تحفظ كرامته، فالمعلوم أنَّ القانون واللغة أهم الظواهر الإنسانية.

في ضوء ما سبق نُقَّدم هذه الدراسة التي ترتشف العلوم اللغوية وما يصاحبها من علوم قانونية أُخَر؛ فقُسِّمت الدراسة على ثلاثة مطالب: الأول منها تمهيدي يسلط الضوء على الجهاز المفاهيمي للقانون والدراسات البينية؛ فجاء بعنوان(مهاد قانوني وبيني). وخصِّص الثاني للمقاربات في الجانب الفكري؛ فجاء بعنوان(مقاربات بين التفكير اللساني

والقانوني).وأوقف الثالث على إمكان المناقلة المنهجية بينهما؛ فجاء بعنوان(المناهج العلمية بين التفكير اللساني والقانوني).

أما المنهج الذي سارت خطوات البحث في هديه، فهو خليط من مناهج متعددة هي: المنهج الوصفي، والتحليلي، والتاريخي، والمقارن، فنرصد الظاهرة ونخضعها للوصف والتحليل المقارنة.

وقبل الختام لا ندَّعي الكمال في عملنا هذا، فالكمال لله (تعالى ذكره) وحده، وحسبنا أنَّا سعينا وبذلنا جهدا في جمع المادة، ونقلها، ورصد الظواهر وتحليلها.

ونختم بما بدأنا به؛ فالحمد لله وحده، والشكر لتوالي نعمه علينا، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد.

المطلب الأول

مهاد: قانوني، وبيني

قبل شروع البحث في حفريات التفكيرين تكون بنا حاجة لعرضٍ نظري للمنظومة القانونية؛ لتكوين رؤية إجمالية نفهم في ضوئها الترابطات الفكرية بإزاء كل منها، وبناء على هذا الفهم نُسلِّط الضوء في هذا المهاد على محورين رئيسين، يقدمان عرضا موجزا لموضوعين يمثلان الأُطر العامة لمحاور هذه الدراسة، وهذان الموضوعان هما: القانون، والدراسات البينية. مد وآله وصحبه أجمعين.

أولا: القانون : المفهوم ، والفروع، والمصادر

1-**مفهوم القانون**: يرى الفقهُ أنَّ القانونَ بمعناه الواسع : «مجموعة القواعد التي تنظم الروابط الاجتماعية، والتي تقسر الدولة الناس على اتباعها ولو بالقوة عند الاقتضاء» (السنهوري، صفحة 4)، أو أنَّ القانون بمعناه العام هو: «مجموعة من قواعد السلوك العامة المجردة، والمنظمة العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص المقترنة بجزاء مادي تفرضه السلطة العامة على من يخالفها» (البكري و البشير، 2015، صفحة 23).

2- **فروع القانون:** يدل مصطلح فروع القانون على مجموعة القواعد القانونية التي تنظم حقلا معينا من حقول الحياة الاجتماعية، وتتصف هذه القواعد بطبيعة واحدة، كالقانون المدني، والقانون التجاري والقانون الدستوري[1].

ويذكر فقهاء القانون تقسيمات متعددة للقانون، ومعيارها طبيعة العلاقة القانونية بين أطرافه، فكان التقسيم الثنائي من أشهر هذه التقسيمات؛ إذ قُسِّم القانون بموجبه على قسمين: (القانون العام، والقانون الخاص)، ومعيار هذا التقسيم دخول الدولة طرفا في الأول بصفتها صاحبة السلطة، وخلوُّ الثاني منها [2].

وفي ضوء هذه الرؤية يكون القانون العام «مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات التي تكون الدولة طرفا فيها باعتبارها صاحبة السلطة والسيادة، أما القانون الخاص فهو مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الأفراد بعضهم بالبعض الآخر، أو بينهم وبين الدولة باعتبارها شخصا عاديا كباقي الأشخاص، لا باعتبارها صاحبة السلطة والسيادة» (البكري و البشير، 2015، صفحة 21).

ويترتب على التقسيم الثنائي أن يدخل في كل قسم مجموعة من القوانين التي تنسب إليه، وهذان القسمان على نحو الإجمال: هما:

أولا: القانون العام :تتعدد الروابط التي تحكمها القواعد القانونية من هذا الفرع، فمنها ما يخص العلاقات الخارجية، فتنظم إقليم الدولة مع الدول الأخر، فيصطلح عليها بالقانون العام الخارجي، ومنها ما ينظم العلاقات في داخل إقليم الدولة فيصطلح عليها بالقانون العام الداخلي[3].

أ-القانون العام الخارجي (القانون الدولي) : هو مجموعة القواعد التي تنظم علاقات الدول بعضها بالبعض الآخر، وتحدد حقوق كل منها سواء من حالات السلم أم في حالات الحرب

ب- القانون العام الداخلي: يشمل هذا القسم فروع القانون الآتية :

1ـ القانون الدستوري: هو «مجموعة القواعد القانونية الأساس التي تحدد شكل الدولة، ونوع الحكومة وكيفية تنظيم سلطاتها العامة في تكوينها واختصاصها وعلاقتها فيما بينها وتقرر حقوق الأفراد الأساس وعلاقتهم بالدولة وسلطاتها العامة ويعتبر القانون الدستوري

القانون الأساس الذي يتفوق على جميع تشريعاتها منزلة فلا يجوز أن يخالفه أي قانون في الدولة أو تشريع فرعي» (البكري و البشير، 2015، الصفحات 193-194)

2ـ القانون الإداري:« مجموعة القواعد القانونية التي تنظم حركة السلطة التنفيذية في أداء وظيفتها الإدارية وتحدد الوسائل التي تمكن الأفراد من حمل هذه السلطة على أداء واجبها في هذا المجال» (البكري و البشير، 2015، صفحة 195).

3ـ القانون المالي:«مجموعة القواعد المنظمة لإيرادات الدولة وهيئاتها العامة ومصروفاتها وإجراء الموازنة بينهما» (البكري و البشير، 2015، صفحة 196)

4ـ القانون الجنائي: «مجموعة القواعد التي تحدد الجرائم وتبين العقوبات المقررة لكل منها وكذلك الإجراءات التي تتبع في تعقيب المتهم ومحاكمته وتوقيع العقوبات عليه» (البكري، المدخل لدراسة القانون والشريعة الأسلامية في نظرية القاعدة القانونية والقاعدة الشرعية، 1972، صفحة 43). ويقسم هذا القانون على قسمين هما : قانون العقوبات، وقانون أصول المحاكمات الجزائية.

أ-قانون العقوبات: «هو مجموعة القواعد التي تحدد الأفعال المحرمة التي تعتبر جرائم وكيفية تحقق المسؤولية الجنائية وتحديد العقوبة المقررة لكل جريمة» (البكري، المدخل لدراسة القانون والشريعة الأسلامية في نظرية القاعدة القانونية والقاعدة الشرعية، 1972، صفحة 19).

وينقسم قانون العقوبات على قسمين :عام، وخاص؛ فالعام يسلط الضوء على القواعد العامة التي تشمل الجرائم عامة، وأنواعها: (جناية، وجنحة، ومخالفة)، وأركانها، والمحاكم وأنواعها، والعقوبات. أما الخاص فيسلط الضوء على بيان الجرائم المختلفة، وإذا ما وقعت على الهيئات، أو على الأفراد، فتتناول الجريمة، أو مجموعة من الجرائم من حيث طبقها بالأحكام على انفراد[4].

ب-قانون أصول المحاكمات الجزائية: هو«مجموعة القواعد التي تبين الإجراءات الواجبة الاتباع من وقت وقوع الجريمة إلى حين توقيع العقاب بمرتكبها، من حيث ضبط المتهم والقبض عليه والتحقيق معه ومحاكمته، وتنفيذ العقوبة التي يحكم بها»[5].

ثانيا: القانون الخاص:

سبقت الإشارة الى أنّ الجامع بين هذه الفروع هو غياب الدولة بصفتها صاحبة السيادة والسلطة، فهو ينظم العلاقات بين الأشخاص بصفة عامة أو بينهم وبين الدولة بصفتها شخصا عاديا. وينظم هذا الفرع مجموعة من القوانين من أهمها ما يأتي :

1ـ القانون المدني: مجموعة القواعد التي تحكم المعاملات المالية بين الأفراد أو بينهم وبين الدولة على اعتبارها شخصا معنويا عاديا.

2ـ قانون الأحوال الشخصية: «مجموعة القواعد التي تحكم شخصية الفرد وأهليته وتنظم روابطه بأسرته» (البكري و البشير، المدخل لدراسة القانون، 2015، صفحة 199)

3ـ القانون التجاري: ((هو مجموعة القواعد القانونية التي تحكم الأعمال التجارية وروابط التجار فقواعده لا تطبق إلا بين التجار وفي علاقة تجارية)) (البكري و البشير، المدخل لدراسة القانون، 2015، صفحة 201).

4ـ قانون المرافعات المدنية: هو مجموعة القواعد التي تبين الإجراءات التي يتبعها الفرد للوصول عن طريق السلطة العامة إلى حماية حقوقه الخاصة المقررة في القانون المدني أو التجاري لذلك فهو يعتبر قانونا شكليا أو اجرائيا.

5ـ القانون الدولي الخاص: «هو مجموعة القواعد القانونية التي تحدد المحكمة المختصة والقانون الواجب التطبيق من نزاع نشأ في رابطة قانونية تتميز بوجود عنصر اجنبي فيها سواء كان طرفا في الرابطة أو كان خلفها أو كان السبب المنشئ لها. كما تحكم قواعده مسائل الجنسية ومركز الأجانب في الدولة» (البكري و البشير، المدخل لدراسة القانون، 2015، صفحة 204).

3-مصادر القانون:

المصدر هو: «السبب المنشئ للقاعدة القانونية، بمعنى الطريق الذي تأتي منه القاعدة أو المنبع الذي تخرج منه لتصبح ملزمة وقابلة للتطبيق كالتشريع، العرف» (البكري و البشير، المدخل لدراسة القانون، 2015، صفحة 204). وبتعبير آخر«الطريق التي تنفذ منها القاعدة إلى دائرة القانون المطبق، وتكسب بذلك صفة الإلزام» (منصور، 2010، صفحة 61).

ويذكر القانونيون ستة مصادر للتشريع، هي: التشريع، والعرف، ومبادئ الشريعة الإسلامية، وقواعد العدالة، والقضاء، والفقه. وتتمّة للفائدة يقتضي التعريف بها- إجمالا- على وفق ما يأتي :

1ـ التشريع: يُحمَل التشريع في البحث القانوني على معنيين: «أولهما قيام سلطة عامة مختصة في الدولة بوضع القواعد القانونية في صورة مكتوبة وإعطائها قوة الإلزام. والتشريع بهذا المعنى هو ما يعد مصدرا للقانون، وثانيهما النص الذي يصدر من السلطة المختصة بنسبة في الدولة المتضمن قاعدة قانونية أو أكثر صيغت صياغة فنية مكتوبة والتشريع بهذا المعنى ما يفيد القانون بمعناه الخاص. ويستنتج من ذلك أن التشريع بمعناه الأول يعني عملية سن النص التي يخرج بها مضمونه إلى حيز الوجود والالزام. وهو بمعناه الثاني :يعني النص في حد ذاته الذي يعتبر صورة من صور القانون» (البكري و البشير، المدخل لدراسة القانون، 2015، الصفحات 84-85).

٢-العرف: هو «اعتياد الناس على سلوك معين في تنظيم ناحية من نواحي حياتهم الاجتماعية بحيث ينشأ منه قاعدة يسود الاعتقاد الالتزام بها» (البكري و البشير، المدخل لدراسة القانون، 2015، صفحة 139). وبعبارة أخرى فالعرف هو اعتياد الناس على سلوك معين في العمل، مع الاعتقاد بلزوم هذا السلوك كقاعدة قانونية. إذ قد يشيع حل معين لمشكلة ما، ويتكرر الالتجاء الى هذا الحل ويستقر في نفوس الناس بحيث يشعرون أنّهم جزء من تنظيم المجتمع وضروري لاستقرار المعاملات، فهنا تولد القاعدة المعرفية.

٣-**مبادئ الشريعة الإسلامية أو (الدين):** الدين« مجموعة المعتقدات والأحكام التي أوحى بها ألله إلى أنبيائه ورسله منذ خُلق آدم (عليه السلام) حتى خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلوات الله عليه» (منصور، 2010، صفحة 177)

٤-**قواعد العدالة والقانون الطبيعي:** العدالة من منظور فقهي «التعبير عن الشعور بالمساواة الواقعية لا المجردة، وهي المساواة القائمة على مراعاة الظروف والجزئيات في كل حالة بالنسبة لكل شخص، وهي تصدر عن مثل عليا تهدف إلى خير الإنسانية وحسن التنظيم الاجتماعي» (الخفاجي، 2008، صفحة 51). وأما القانون الطبيعي فهو« القواعد التي يشغلها العقل البشري من طبيعة الروابط الاجتماعية، فهي المبادئ التي يهتدي بها المشرع أحيانا كمثل أعلى في صياغة التشريع» (منصور، 2010، صفحة 232).

5-**الفقه، والقضاء:**

الفقه من منظور قانوني« مجموع آراء علماء القانون القائمة على دراسة القانون دراسة تحليلية اقتصادية والجامعة بين استخلاص الأحكام القانونية من مصادرها بالطرق العلمية ،وكافي هذه الاحكام للكشف عن نقائص القانون وعيوبه »(السنهوري، 1936، صفحة 158). أما القضاء، فهو «مجموعة المبادئ القانونية المستنبطة من استقراء المحاكم على اتساعها والحكم بمقتضاها» (السنهوري، 1936، صفحة 154). وبتعبير آخر نقول: إنَّ الفقه هو استنباط الأحكام القانونية من مصادرها بالطرق العلمية . والقضاء هو تطبيق الأحكام القانونية على القضايا التي ترفع للمحاكم. وبناء على هذه المعطيات يشكل الفقه الجانب العلمي للقانون، وعلماؤه هم الفقهاء، في حين أنَّ القضاء هو الجانب العملي له وهو من يبعث الحياة فيه، ويدفع بعجلة البحث الفقهي الى الأمام، بتزويده بالحوادث المستجدة بوصفها التغذية الراجعة للعمل الفقهي[6].

ثانيا: الدراسات البينية:

يقوم مفهوم الدراسات البينية على مبدأ التعالق العلمي وعدم الانفراد، فلا وجود لفكر إلا في ضوء علاقته بفكر آخر، فالحقول العلمية تتكامل دراستها في علاقاتها بحقول أُخَر،

ويعمل الخطاب العلمي في العصر الحديث على تقريب المعارف بعضها من بعض، فيعمل على رصد، أو إنشاء صلات تعاون، أو اقتراض بين مناهج البحث العلمي بعامة (رمضان، د.ت، صفحة 34)[7].

وبناء على ما سبق، فالبينية: «عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصصات مختلفة، وهو تبادل يفضي إلى أنْ تتكامل التخصصات المتداخلة؛ لتُكوِّن تخصصا جديدا. والبينية هي تضايف يحدث بين مكونين أو أكثر يكون كل مُكوِّن منها منتميا إلى علم من العلوم أو تخصص من التخصصات»[8]. أو هي«دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية التي سيتم بموجبها الإجابة عن بعض الأسئلة أو حل بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جدا معقَّد جدا يصعب التعامل معه بشكل يختلف عن طريق نظام أو تخصص واحد» (المرأة، 2017، صفحة 6).

وإذا حاولنا الدخول في مسار البحث، فلا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ الفكرة التي تأسست عليها البينية هي نفسها التي تأسست عليها النظريات اللسانية الحديثة، وما يرتبط بها من دراسات ترى اللغة وسيطا بينها وبين الإدراك والعالم الخارجي، ذلك بأنَّ اللسانيات في الفكر الإنساني الحديث شجرة علوم تحاكي في شكلها المعرفي العام الفلسفة في العصور القديمة، وشهدت هذه الشجرة من المعارف في التشابك والتوالد بين العلوم الإنسانية، ما جعلها بحق أم العلوم الإنسانية الحديثة)المرأة(30 .p ,2017 ،. فهي«تعكف على كل الظواهر الإنسانية من غير احتراز أو تحفظ باعتبار أنها تستكشف ظاهرة اللسان فيها جميعا ونواميسها من مصادر لسانية وغير لسانية فتعتمد إلى إجراء مقطع عمودي على كل منتجات الفكر بمنظور مخصوص، فيعدُّ البحث عن خصائص الخطاب الإخباري والخطاب الشعري والعلمي والقضائي والاشهاري والديني والمذهبي» (المسدي، 1986، صفحة 168). وتنماز اللسانيات البينية بالاندماج بين اللغة والعلوم الأُخَر، والنظر إليها من هذا المنظور العلمي الجديد (المرأة، 2017، صفحة 25). واللغة بهذا المعنى جسر تعبره

العلوم الإنسانية الأُخَر، إذا هي أرادت أنْ تحقق نصيبا من العلوم (علوي و العناتي، 2009).

وينبني منهج اللسانيات البينية على تقديم موادها ومفرداتها إلى حيّز التوظيف والاستعمال، وإجادة التواصل عبر ميادينها والالتقاء بينها وبين العلوم الأُخَر، إذ أقامت علاقات متينة معها، فكانت : اللسانيات التربوية التي تلقي الضوء على العملية التربوية بوساطة علم اللسانيات، واللسانيات الاجتماعية التي تدرس علاقة اللغة بالمجتمع، واللسانيات الإعلامية التي تدرس علاقة الإعلام باللغة، واللسانيات النفسية التي تهتم بدراسة الجانب النفسي لدى الفرد وانعكاسه على اللغة[9].

وقد ظهرت موضوعات جديدة سعى المتخصصون في الدراسات البينية إلى دراستها منها على سبيل التمثيل : التنميط البينثقافي، والتعالقات بين الترجمة والسياسة والقانون، والخطاب الإعلامي، واللسانيات القضائية (الجنائية)[10].

المطلب الثاني

مقاربات بين التفكير اللساني والقانوني

يشترك التفكير اللساني والقانوني في وجوه متعددة، نحاول تسليط الضوء على بعضها بإعمال مقاربات بينهما في موضوعات، منها: وحدة النشأة، ومصادر الاستنباط، والعرف، والتفكير العام والخاص، والمنهج المعياري، فكل هذه التعالقات هي مشغل الدراسة في هذا المطلب، فنبسط القول فيها على وفق ما يأتي:

أولا : التفكير اللساني، والقانوني (النشأة الدينية):

من أوجه التقارب الفكري بين اللغة والقانون ما تُوقِفُنا عليه مصادر العلمين التاريخية، إذ أحالت بدايات النشأة لكل من التفكيريْنِ إلى العامل الديني، فعلى مستوى التفكير اللغوي كانت بدايته بدافع ديني؛ إذ نشأ البحث اللغوي عند الهنود للمحافظة على كتابهم المقدس (الفيدا)، ونشأ عند الإغريق متأثرا بالفلسفة التي لا تخلو من المسحة المثالية الدينية، ونشأ عند العرب للمحافظة على القرآن الكريم[11]. ويعزو الباحثون العرب نشأة

التفكير اللغوي العربي إلى شيوع اللحن في قراءة القرآن الكريم بعد دخول الأعاجم في الإسلام في زمن الفتح الإسلامي؛ الأمر الذي اقتضى وضع القواعد النحوية التي تصون اللسان من اللحن في القراءة، ومن ثمَّ تطور التفكير اللغوي بعامة على وفق ما هو معروف في محله[12].

ويتفق التفكير القانوني والتفكير اللغوي من حيث النشأة والترعرع في أحضان الدين؛ إذ توقفنا بعض المصادر التأريخية التي دوَّنت بداية التفكير القانوني على أنَّ العامل الديني كان الأساس لنشأة التفكير القانوني، فالقانون عبارة عن إرادة الهية، أو حكم الهي يوصى به إلى الملوك، أو الحكام، أو القضاة، أو الكهنة عند الفصل في النزاعات، فيُنظر إليه من هذا الجانب أنَّه وصية، أو الهام،[13] ومن ثم لا يستطيع المجتمع مخالفة القواعد التي تحكمهم؛ بوصفها تمثيلا للإرادة الإلهية، التي تعبر عن رغبة الآلهة، موصية بتلك الرغبة إلى أفراد خاصة، منهم : الكهنة، والملوك، والحكام [14].

ومن القوانين التي نسبت اليها النشأة الدينية قانون حمورابي البابلي في العراق، إذ ادَّعى الملك حمورابي بأنه وحي له من إله الشمس (شماس). وقانون مصر الفرعونية (تخون)،ففي الحضارة الفرعونية كان(تخون) الإله الذي وضع القوانين في مصر، وهو من أوحى لملوكهم بالقوانين. ومثله قانون (مانو) الهندي المنسوب إلى الإله (مانو)، ابن الإله براهما، الذي كان يوحي به اليه لإبلاغه إلى الكهنة للحكم به. ومثله يقال عن القوانين اليونانية؛ إذ نسب الإغريق قوانينهم إلى أحكام الآلهة منها: إله العدل (تيميس)، وإله السموات زنيوس (Zens)، وكذا الحال مع قوانين إسبرطا المنسوبة إلى الإله (يوليو)[15].

ثانيا : القانون واللغة كائنان حيان:

القانون واللغة من أبرز الظواهر الاجتماعية التي تنشأ بوجود المجتمع وتفنى بفنائه؛ فلا يتصور وجود مجتمع من دون وسيلة تواصل يسلكها أفراده؛ للتفاهم فيما بينهم، وهي بهذا الوصف، فلا وجود لها من دون وجود الجماعة البشرية، ولا وجود للجماعة من دون وسيلة تفاهم بينهم، فاللغة تأخذ من المجتمع حياتها، وتغيرها، وتطورها وعدم ثباتها،

وهرمها، وموتها، وفي ضوء هذا التصور وصفت اللغة بأنَّها (كائن حي)؛ «لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين لها وهم من الأحياء، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية، تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفراده، كما أنها تتطور بتطور هذا المجتمع، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه» (التواب، 1983، صفحة 5).[16]

وينسحب الأمر نفسه نحو القانون؛ لأنَّه من أبرز الظواهر الاجتماعية التي نشأت في أحضان المجتمع البشري؛ لتنظيم روابطه الاجتماعية التي توجد بوجود الجماعات، ومتى ما تواجدت هذه الروابط وجب تنظيمها بقواعد، وهذه القواعد هي القانون.[17] والقانون وليد البيئة الاجتماعية، وهو انعكاس حيّ لواقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ إذْ يتفاعل مع هذا الواقع ويتطور؛ لذلك فالقانون متغير من بيئة إلى أخرى ومن زمن لآخر بحسب اختلاف الظروف الاجتماعية وتغيرها[18]، ويدل على هذه الحركية والتطور والتغير وعدم الثبات النظر في أي قانون من قوانين بلدنا لنجده متغيرا (معدَّلا) من مدة إلى أخرى، فالدستور خضع لتعديلات وتطورات بحسب ما يستجد للمجتمع وما يعرض له من تطور، وكذلك الحال مع قانون العقوبات الذي خضع للتطور والتعديل، والقانون المدني وغيرها من القوانين الأخر[19].

وبناء على تقارب الوصفين بين القانون واللغة ينسحب وصف اللغة (كائن حي)، إلى القانون فنقول : إنَّ القانون (كائن حي)؛ لأنه يحيا باجتماع الأفراد في مجاميع وهم من الأحياء، وهو كذلك يتطور ويتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهو ظاهرة اجتماعية، يحيا في أحضان المجتمع، ويستمد كيانه منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفراده، وأنه يتطور بتطور هذا المجتمع، فيرقى برقيه وينحط بانحطاطه.

ثالثا: مصادرالاستنباط اللغوي والقانوني:

يظهر التعالق الفكري بين القانون واللغة العربية بالالتقاء على بعض الأسس المعرفية بوصفها أصولا لاستنباط قواعد كلا الحقلين العلميين، فأصول التشريع أو الاستنباط

القانوني بحسب ما عرفنا سابقا، هي: «التشريع، والعرف، والشريعة أو الدين، وقواعد العدالة، والقضاء، والفقه»، ويتجلى لنا من الوهلة الأولى أنَّ القانون واللغة يتكئان على مصدرين من هذه المصادر هما: الشريعة أو الدين، والعرف .

ولا بد من التأكيد على أنَّ المقصود بالشريعة في هذا السياق هي الشريعة الإسلامية، ومعنى أنَّ الشريعة إحدى مصادر التشريع القانوني أنَّ منظومة استنباط الفقه الإسلامي جزء من أصول الاستنباط القانوني، فتكون تلك الأصول التي هي (القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل أو القياس)[20] رافداً من روافد القانون الوضعي للقوانين التي اتخذت الدين الإسلامي أحد مصادر تشريعاتها، ولا يقف الأمر عند هذه المصادر الرئيسة فحسب، بل يتعداه إلى كل أدوات استنباط الفقه الإسلامي التي تساعد المجتهد على تحصيل الحكم الشرعي، كما هو حال أصول الفقه الذي يعدُّ عماد عملية الاستنباط الفقهي.

وفي ضوء التصور السابق يثبت اشتراك اللغة والقانون بهذه المنظومة كلها، ذلك بأنَّ أصول الفكر اللغوي، أو مصادر استنباط القواعد اللغوية مبنية على أصول الاستنباط الفقهي نفسها، على وفق تصريح أئمة اللغة، وأرباب هذا العلم، فضلا عن ذلك أنَّ نشأة الدرس اللغوي نشأة دينية إسلامية -حسب ما عرفنا ذلك سابقا- كان سببا في نشأة أصول النحو على سمت أصول الفقه، وعلم الكلام بحسب تصريح ابن جني في سياق حديثه عن علم أصول النحو؛ إذ قال: «وذلك لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه...» (جني، 2010، صفحة 48).

وبناء على التأثير الديني في اللغة تعددت أصولها لتشمل: السماع الذي يشمل: القرآن والحديث الشريف وكلام العرب، والاجماع، والقياس والتعليل. وهذه الأصول من الناحية التشريعية القانونية هي جزء كبير من منظومة الفكر القانوني، الأمر الذي يقتضي أنْ تكون علاقة التفكير بينهما علاقة احتواء القانون للغة، الناتجة عن علاقة احتواء القانون للدين، يقول سعيد الأفغاني: «إذا عرفت ذلك كله أدركت الأثر البعيد الذي للعلوم الدينية في نشأة العلوم اللسانية. هذا في القياس خاصة، وقد علمت أن علماء العربية احتذوا

طريق المحدثين من حيث العناية بالسند ورجاله وتجريحهم وتعديلهم، وطرق تحمل اللغة... فكانت لهم نصوصهم اللغوية كما كان لأولئك نصوصهم الحديثية، ولهم طبقات الرواة كما لأولئك، ثم احتذوا المتكلمين في تطعيم نحوهم بالفلسفة والتعليل، ثم حاكوا الفقهاء أخيرا في وضعهم للنحو أصولا تشبه أصول الفقه، وتكلموا في الاجتهاد فيه كما تكلم الفقهاء وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والاجماع كما بنى الفقهاء استنباط أحكامهم على السماع والقياس والإجماع؛ وذلك أثر واضح من آثار العلوم الدينية في علوم اللغة» (الأفغاني1987، 1987، الصفحات 104-105).

وخلاصة الأمر يمكن القول: إنَّ الإجماع، والقياس، والسماع، والعِلَّة، هي أصول الاستنباط الفقهي الإسلامي، وهي نفسها كامنة في البحث اللغوي أخذها اللغويون من العلوم الإسلامية، ومن ثم يستلزم الأمر أنْ تكون إحدى مصادر التشريع القانوني، وأدوات استنباطه.

رابعا: العرف بين القانون واللغة:

أمّا المصدر الآخر الذي يتعالق مع اللغة، فهو العرف، وهو أحد مصادر التشريع القانوني، أما الآن، فنأخذ العرف بلحاظ آخر؛ لحاظ ننظر له من جهة التعالق مع اللغة، فاللغة نظام عرفي متواضع عليها اجتماعيا[21]، فمن ألفاظها ما هو موروث لنا، محفوظ بحروفه ودلالاته، ومنه ما هو متطور متجدد يأخذ حمولة دلالية جديدة بحكم العرف، أو منها ما هو مقترض جديد من لغات أخرى تهضمه اللغة، ويأخذه العرف بدلالته، أو قد تكسوه دلالة أخرى تصبح بمرور الزمن وحكم العرف دلالة أخرى إلى جانب الدلالة الأصل، وأكثر من ذلك قد يحل المعنى الجديد محل القديم، فيكون استعماله مرهونا بالعرف الذي شاع فيه واكتسب قوته منه.

وبناء على أنَّ القانون يتكئ على الأعراف تشريعا، وقضاء في فهم الألفاظ، فقد تكون كلمة، أو عبارة لغوية محلا لجريمة، أو لنزاع أو لفهم نص قانوني، كما هو الحال في جرائم السب والقذف التي نظر لها المشرّع العراقي من منظور عرفي في قانون العقوبات، إذ ذكر عبارة

((عند أهل وطنه)) في تعريف القذف، الذي عنى به: «إسناد واقعة معينة إلى الغير بإحدى طرق العلانية من شأنها لو صحت أنْ توجب عقاب من أسندت إليه أو احتقاره عند أهل وطنه» (العراقي، 1969، صفحة 189)، فعبارة احتقاره عند أهل بلده هي الوجه العرفي الذي راعاه المشرع في هذا النص[22]

وقد يستوجب على القضاء تحكيم العرف في كثير من الجرائم اللغوية لفهم العبارات فهما سياقيا اجتماعيا (عرفيا)، لا فهما لغويا معجميا فحسب؛ فقد تكون عبارات في اللغة ذات دلالة معجمية حقيقية تكشف عن فعل حقيقي في حال حملها على معناها المعجمي، في حين أنَّها تأخذ معنى آخر في سياق اجتماعي (عرفي) في مكان ما، كما هو الحال في عبارة السب (ابن الزنا) في مجتمع يتداولها لا يريد منها الساب أنْ ينسب للمخاطب أنّه ابن زنا حقيقة، بل كل ما يريده هذا أنْ يسبه على وفق معنى السب قانونا، لا بقصد إثبات واقعة الزنا؛ ليكون قذفا بالمعنى القانوني الذي يفرق بين القذف والسب، فالعرف هو المفرق والحكم بين الدلالتين (كاظم، 2015، صفحة 128)، ولاسيما أنَّ السب قانونا هو «من رمى الغير بما يخدش شرفه أو اعتباره أو يجرح شعوره وان لم يعنِ ذلك اسناد واقعة معينة» (المعدّل، 1969).

وفي ضوء ما سبق وعلى سبيل التمثيل لدور العرف من الواقع العراقي: أنَّ المعنى الحقيقي للرمز (56)هو الدلالة على هذا العدد، وبعد تغيّر الوضع السياسي العراقي أخذ هذا العدد مدلولا آخر متأثرا بالمادة (456)من قانون العقوبات العراقي الدالة على النصب والاحتيال، فأخذ العرف باستعمال جزء منها (56)؛ ليلبسه دلالة النصب والاحتيال، وقد شاع هذا المعنى حتى أصبح إطلاقه على شخص ما يراد به الوصف بالنصب، والاحتيال[23].

وبناء على التصور السابق لو أنَّ شخصا اشتكى على شخص نعته باللفظ (56)، وأقام دعوى السب أو القذف تكون مضمون دعواه أنَّ فلانا اتهمني بالنصب والاحتيال ، وتصل الدعوى إلى القضاء، وأنَّ القاضي هو ابن هذا العرف ولغته، ويعرف بحكمه أنَّ دلالة العدد أخذت هذا المعنى الجديد؛ فإنَّ ذلك يعني -مع تضافر قرائن أُخر- أنَّ العرف اللغوي

دليل للتجريم كما هو مصدر من مصادر التشريع. في حين أنَّ هذا اللفظ لا يُعدُّ جريمة في عرف لغوي آخر، كما هو الحال في الجزائر، أو السعودية أو غيرهما؛ لأنَّ القانون (تشريعا وقضاء) يتأثر بعرف البيئة التي يشرع لها، ويطبق شريعته فيها قضائيا، وعلى وفق هذا البيان يتضح أنَّ العرف أحد الوجوه البينية للغة والقانون .

خامسا: التفكير العام والخاص بين البحث اللغوي والقانوني:

يتجه التفكير اللغوي والقانوني اتجاهين(عام، وخاص)، يقوم التفكير العام على رصد الظواهر العامة التي تشترك فيها اللغات أو القوانين من ناحية تجريدية عامة، ويُعنَى الخاص برصد الظواهر الخاصة لكل لغة أو قانون.

يرى الباحثون اللغويون أنَّ عدد لغات العالم يكاد يصل إلى خمسة آلاف لغة، تشترك كلها بصلات واحدة تجعلها داخلة في اصطلاح (اللغة) من دون قيد يزاد عليها، في حين ثمَّة ما يكفي من أوجه الاختلاف؛ ليميزها ويخصصها لتدخل في إطار اللغة بقيد يزاد عليها، كما هو حال العربية، أو الإنجليزية، أو غيرهما[24]

ومن أوجه الاتفاق اللغوي أنَّ اللغات جميعها قادرة على التعبير عن أي مفهوم في العالم، وكذلك تشترك بوجود قواعد صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية، وأنَّ الأطفال بإمكانهم أنَّ يكتسبوا أي لغة من لغات العالم بسهولة ويسر، وفي لغات العالم مفاهيم معنوية عالمية كالزمن والنفي والاستفهام... بيد أنَّ كل هذه السمات العامة غير قادرة على تحقيق وظيفة التواصل ما لم تتصف بصفات خاصة لكل لغة، ويدور التباين حول تلك القواعد العامة لتأخذ وصفا خاصا بها، فلكل لغة نظامها الصوتي الخاص بها من عدد الأصوات وغيرها، ولها نظامها التركيبي من قواعد نحو خاصة بلغة ما، ومن ثم لها نظامها المعجمي الخاص بألفاظها التي يعبر بها عن المعاني[25]. والعلم الذي يدرس المفاهيم العامة يسمى في الدرس اللغوي بعلم اللغة العام الذي يعني « دراسة اللغة على نحو علمي»[26].

ويدخل التفكير نفسه المجال القانوني، فتعدد القوانين وتباينها عالميا، أو محليا لا يلغي وجود الصلات العامة بينها، فثمة وشائج عامة تظهر بصورة مبادئ مجردة تقوم عليها

قواعد قانونية بصرف النظر عن اختلاف الشرائع والفروع التي تضمها، وقد حاول الباحثون القانونيون رصد هذه المبادئ العامة التي تقف على جوهر الاتفاق وتسمو عن التفصيلات الخاصة، فجمعت هذه المبادئ العامة في علم اصطلحوا عليه: بعلم أصول القانون أو علم القانون أو المدخل لدراسة القانون، فكلها مصطلحات لمفهوم واحد يراد به «علم يتخذ من القانون موضوعا له يبحث فيما يحكمه من مبادئ عامة ونظريات مشتركة بين شرائع الأمم»[27] (البكري، 1972، صفحة 07)

وأمّا الفكر الخاص فيعنى بدراسة القواعد القانونية المتباينة تبعا لطبيعة الروابط الاجتماعية التي تحكمها أو بعبارة أخرى القوانين الوضعية للأمم (البكري، 1972، صفحة 07). ومن جميل توضيح العلاقة بين الجانب العام والخاص لكلا العلمين (اللغة والقانون) ما ساقه الفقيه القانوني (هولاند) من تمثيل استدل به في تشبيه علاقة التفكير القانوني العام بالخاص بعلاقة التفكير النحوي العام بالخاص، إذ قال: «نشبه هذه العلاقة بالعلاقة بين علم النحو المجرد وبين مختلف اللغات، فكما أنَّ لكل لغة علم نحو يختص بها يبين أقسام الكلمة وموقعها في الجمل والعلاقة فيما بينها وأقسام كل منها، كالفعل والفاعل والضمير والصفة والاسم وحرف الجر، إلا أنَّ فكرة الاسم والفعل والفاعل وغيرها أفكار تتغير في مختلف اللغات، وإذا كان علم النحو يعنى بدراسة هذه الأفكار النحوية المشتركة بين شتى اللغات فإن علم أصول القانون مدخل لدراسة القانون يتكفل بالبحث في جميع المبادئ القانونية الرئيسة المشتركة في مختلف القوانين الوضعية التي يتباين بعضها عن بعض في التفصيلات المتفرعة عن هذه المبادئ» (البكري، 1972، صفحة 07).

سادسا : المعيارية بين التفكير القانوني واللغوي:

يتشارك القانون واللغة في مبدأ التفكير المعياري الذي يضع القواعد ولا يسمح بمخالفتها، فالقانون عندما يضع القاعدة، فهي نتاج لوصف بنية المجتمع، وهي مشتقة منها، فيلزم من ذلك عدم المخالفة، ويقضي بالعقوبة على مخالفتها؛ للحفاظ على النظام الاجتماعي، وتتأتى هذه الفكرة من اتصاف القاعدة القانونية بالإلزام بحسب ما هو معروف من

صفات القاعدة القانونية؛ إذ وصفت أنَّها: قاعدة تنظيم للمجتمع، وعامة ومجردة، وملزمة ذات جزاء مادي[28]، ويتمظهر الإلزام على سبيل التمثيل بقانون العقوبات الذي تتصف مواده بالمنع أو الحظر، والوجوب، وفرض العقوبة على المخالف لها[29].

وتنطلق اللغة من الفكرة نفسها، فالقواعد النحوية على سبيل التمثيل ناتجة من وصف اللغوي لبنية اللغة، ومن ثمَّ تأتي القاعدة على وفقها لتكون معيارا يُطبَّق على الكلام، ولا تسمح اللغة بعد ذلك بمخالفة هذه القواعد، ويحكم في ضوئها بالصواب أو الخطأ على الكلام الموافق أو المخالف لها؛ لذلك عرَّف اللغويون المنهج المعياري بـ «علم يدرس اللغة بهدف وضع معايير تحفظ اللغة من سوء الاستعمال ... فمن خرج عن هذا المنهج أو المعيار دخل في دائرة الخطأ ومن سار على هديه كان مصيبا» (زوين، الصفحات 23-24). بيد أنَّ الفارق بين القانون واللغة من هذا الجانب هو وجود العقاب المادي على المخالف للقاعدة القانونية، وغيابه مع المخالف للقاعدة في الاستعمال اللغوي؛ فيدخل في دائرة الخطأ والصواب، وهي عقوبة نقدية معنوية تقابل العقوبة المادية في القانون .

يتبع/...

([1])ينظر: المدخل لدراسة القانون: 21، والمدخل للعلوم القانونية، موجز النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق، د. توفيق حسن فرج:11-12.

[(2)] ينظر علم أصول القانون :162، والمدخل لدراسة القانون :189،والمدخل للعلوم القانونية موجز النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق:29.

[(3)] ينظر علم أصول القانون :162، والمدخل لدراسة القانون:191.

[(4)] ينظر: المدخل لدراسة القانون : 197، والمدخل للعلوم القانونية موجز النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق:42.

[(5)] المدخل للعلوم القانونية موجز النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق: 42.

[(6)] ينظر: علم أصول القانون : 122-124، والمدخل إلى القانون القاعدة القانونية:235.

[(7)] ينظر : التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها ، د. صالح : 5 ، 34.

[8] التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة العربية : 15-16، وينظر: اللسانيات البينية، د. خالد حوير الشمس: 15.

[9] ينظر محاضرات في اللسانيات :86، واللسانيات البينية: 26 .

[10] ينظر : قضايا معاصرة في اللسانيات التطبيقية: 31 .

[11] ينظر : مدخل إلى علم اللغة، د. محمد حسن عبد العزيز : ٦.

[12] ينظر : المدارس النحوية، د. شوقي ضيف : ١١- ١٣.

[13] ينظر : تاريخ القانون، د. عباس العبودي : ٤٤، وتاريخ القانون، د. صاحب الفتلاوي : ٥٣.

[14] ينظر : تاريخ القانون، د. صاحب الفتلاوي: ٥٣، وأثر الدين في النظم القانونية دراسة مقارنة بين الإسلام والمسيحية، فاطمة محمد عبد العليم، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق-جامعة القاهرة- فرع بني سويف:1421هـ-2001م : ٨٠- ٨١.

[15] ينظر: تاريخ القانون، د. صاحب عبيد الفتلاوي:٥٦، وأثر الدين في النظم القانونية دراسة مقارنة بين الإسلام والمسيحية : ٨٥- ٨٨.

[16] التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب : ٥.

[17] ينظر : علم أصول القانون: ٦، والمدخل لدراسة القانون : ٢٧، والمدخل لدراسة القانون القاعدة القانونية : ١٥.

[18] ينظر : المدخل لدراسة القانون القاعدة القانونية : ١٥.

[19] ينظر على سبيل التمثيل: قانون الأحوال الشخصية رقم(188) لسنة 1959 وتعديلاته، إذْ ذكر سبعة عشر تعديلا لهذا القانون إلى عام 1990 ، فمصطلح تعديلاته في العنوان يدل على التطور، والتغيير في كل تعديل، وهكذا القوانين الأخر الموسومة بلفظ التعديل. للاطِّلاع ينظر :53 من القانون نفسه إذْ ذكرت التعديلات فيها.

[20] ينظر: علم أصول الفقه الإسلامي، الشيخ حسن الربيعي: 89.

([21])أول من أشار إلى عرفية اللغة واجتماعيتها هو ابن جني، إذ قال: «اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، الخصائص: 67/1.

([22])ينظر: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين:127.

([23]) ينظر: اللسانيات الجنائية كدليل وفقا للقانون العراقي:104-105.

([24]) ينظر : مدخل إلى علم اللغة، د محمد حسن عبد العزيز: 16-17.

([25])ينظر : المصدر نفسه: 16-17 .

([26]) ينظر: علم اللغة ، د. حاتم صالح الضامن:30.

([27])المدخل لدراسة القانون والشريعة الإسلامية، عبد الباقي البكري : 5، وينظر: المدخل لدراسة القانون : 7.
([28]) ينظر : المدخل الى دراسة القاعدة القانونية : 11.
([29])ينظر على سبيل التمثيل من قانون العقوبات المادة (358) إذْ نصّت على ما يأتي«يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات أو بالحبس وبالغرامة ، من عطل عمدا سير وسيلة من وسائل النقل العام البرية أو المائية أو الجوية». 153.

قائمة المراجع

- ابن جني. (2010). *الخصائص* (المجلد 1). (محمد علي النجار، المحرر) بيروت، لبنان: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- حافظ إسماعيلي علوي، و وليد أحمد العناتي. (2009). *أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات الثقافية العربية*. الرباط، المغرب: الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ودار الأمان .
- رمضان عبد التواب. (1983). *التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه* (المجلد 1). القاهرة-الرياض، مصر-السعودية: مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، مطبعة المدني.
- سعيد الأفغاني1987. (1987). *في أصول النحو*. بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي.

صالح بن الهادي رمضان. (د.ت). *التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها* (المجلد د.ط). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- عبد الباقي البكري. (1972). *المدخل لدراسة القانون والشريعة الأسلامية في نظرية القاعدة القانونية والقاعدة الشرعية* (المجلدات د،ط). النجف، العراق: مطبعة الآداب.
- عبد الباقي البكري، و زهير البشير. (2015). *المدخل لدراسة القانون* (المجلد 1). دار السنهوري القانونية.
- عبد الرزاق أحمد السنهوري. (1936). *علم أصول القانون* (المجلد د.ط). مصر: مطبعة فتح الله إلباس نوري وأولاده.
- عبد السلام المسدي. (1986). *اللسانيات وأسسها المعرفية* (المجلدات د،ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

- عزيز جواد هادي الخفاجي. (2008). *دروس في المدخل لدراسة القانون* (المجلد د،ط). بغداد، العراق: مكتبة القانون.
- علي زوين. (بلا تاريخ). *منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث*.
- قانون العقوبات العراقي. (1969). ماذة 433. 189. العراق.
- قانون العقوبات العراقي المعدّل. (1969). مادة 434. 190.
- محمد حسن منصور. (2010). *المدخل إلى القانون القاعدة القانونية* (المجلد 1). بيروت، لبنان: منشورات الحلبي الحقوقية.
- مرتضى جبار كاظم. (2015). *اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين* (المجلد 1). دار الأمان.
- مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة المرأة. (2017). الدراسات البينية. السعودية: جامعة الأميرة بنت عيد الرحمن.

Intihaa Journal
Available online at:
ISSN : المجلد (الرقم1) العدد(الرقم1)(السنة2024) : رقم صفحة البداية32 – رقم نهاية الصفحة47

السياسة اللغوية في الجزائر بين إفرازات الاستعماروعهد الاستقلال – مجال التعليم والتكوين أنموذجا-

Linguistic policy in Algeria between the outcomes of colonialism and the era of independence The field of education and training as a model -

د.محمد نبيل بوعافية
مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب
كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة
nabilbouafia196@gmail.com
أ.د. إسماعيل سيبوكر
جامعة ورقلة
dr.ismailsiboukeur@gmail.com

تاريخ الاستلام2023/11/23 تاريخ القبول:2023/12/20 تاريخ النشر: مارس 2024

ملخص:

إنّ الحديث عن السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر بعد الاستقلال يلقي بظلاله على حقبة زمنية طويلة تمتد إلى فترة الاستعمار الفرنسي؛ وهذا لأنّ الاستراتجيات التي وضعتها الدولة الجزائرية بعد التحرر كانت تصطدم بالواقع اللغوي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي، والذي كان من أهم إفرازاته محاولة هدم اللغة العربية الرسمية واستبدالها باللغة الفرنسية، إلى جانب توسيع الهوة بين اللغة الأصلية وناطقيها، ومن هذا المنطلق فإن

هذه الورقة البحثية تسعى إلى إبراز الجهود المبذولة من الدولة في مجال التعليم والتكوين لإصلاح الوضع اللغوي الموروث من فترة الاستعمار، وذكر النتائج المتوصل إليها إلى حد الآن.

الكلمات المفتاحية: السياسة اللغوية، الجزائر، الاستعمار، الاستقلال، التعليم والتكوين.

Abstract-

Talking about the linguistic policy followed in Algeria after independence casts a shadow over a long period of time extending to the period of French colonialism, and this is because the strategies developed by the Algerian state after liberation clashed with the linguistic reality left by French colonialism, which was one of the most important outcomes of the attempt to demolish and replace the official Arabic language in the French language, in addition to widening the gap between the original language and its speakers, and from this logic, this research paper seeks to highlights the efforts made by the state in the field of education and training to reform the linguistic situation in hearted from the colonial period and mention the results reached so far

Keywords : language policy, Algeria, colonialism, independence, education and training .

1. مقدمة-

يعد الاحتلال الفرنسي من أبشع الاستعمارات التي عرفها التاريخ وأطولها مدة، ولقد قدم الشعب الجزائري من سنة 1830م إلى سنة 1962م تضحيات جسام فداء لوطنهم، فيما سعى المحتل الغاشم إلى تدمير مقومات الدولة الجزائرية وطمس هوية شعبها في كل جوانبها، ومحاولة استبدالها بهوية فرنسية لكن إصرار الشعب الجزائري على افتكاك حريته جعله يدفع بالغالي والنفيس في سبيل ذلك متكلا على الله ومؤمنا بقضيته إلى أن نال استقلاله في الخامس من شهر جويلية سنة اثنين وستين تسعمائة وألف، فخرج بذلك من معركة مقاومة المحتل إلى معركة بناء ما دمره الاستعمار.

ولأن اللغة العربية من أبرز تجليات الهوية الإنسانية لارتباطها بثقافة الأمم فقد سعى المستعمر الغاشم إلى القضاء عليها من خلال استبدالها باللغة الفرنسية، ولقد صرح بذلك بعد مجازر 08 ماي 1945 من خلال سن «القانون الأساسي» (زوزو، 2012، صفحة 224) للجزائر الذي أطلق عليه اسم: قانون الجزائر أو دستور الجزائر، وقد

صادق عليه البرلمان الفرنسي في عهد رئيس الجمهورية الفرنسية أور يال (Aurial)K ولقد تضمن هذا القانون في المادة العاشرة من الفصل الأول أن: " اللغة الفرنسية واللغة العربية معترف بهما بنفس الحقوق كلغتين رسميتين على قدم المساواة وعلى جميع الدرجات وفي جميع المدارس التعليمية العامة " (زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، 2010، صفحة 365).

ولأن اللغة ترتبط أشد الارتباط بكينونة الإنسان وثقافته لأنها " روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكون ذاكرة الأمة وشعورها " (الحصري، دت، صفحة 386)فقد ارتبطت السياسة اللغوية في الجزائر بعد نيل الحرية والاستقلال في الخامس من شهر جويلية 1962 بعهد الاستعمار، ووجد السياسيون وأصحاب القرار أنفسهم في مواجهة وضع جد مزر كانت عليه اللغة العربية بعد الحرب التي شنها عليها المحتل محاولا استبعادها وإحلال اللغة الفرنسية مكانها وتوسيع الهوة بين اللغة العربية وناطقيها. وسنحاول في هذه الورقة البحثية أن نظهر الجهود التي قامت بها الجزائر من أجل استعادة مكانة اللغة العربية بعد الاستقلال في مجال التعليم والتكوين محاولين الإجابة على التساؤل التالي : ما هي الجهود المبذولة بعد الاستقلال لإصلاح الوضع اللغوي الموروث من فترة الاحتلال الفرنسي في مجال التعليم والتكوين ؟ وما هي النتائج المحققة؟

.

2. مفهوم السياسة اللغوي:

قبل الخوض في الحديث عن إستراتيجية السياسة اللغوية في الجزائر يلزمنا التعريف بالسياسة اللغوية لغة واصطلاحا، فهي متكونة من جزأين: السياسة واللغة، فأما السياسة فمشتقة لغة من الفعل "ساس". يقول الجوهري في الصحاح " سُسْت الرعية سياسة، وسُوِّس الرَّجُلُ أمور الناس، على ما لم يسمّ فاعله، وإذا مُلِّك أمرهم" (الجوهري، 2009، صفحة 571)وورد معناه في المعجم الوسيط بقوله: "ساس القوم فلانًا: ولّوه ريَاستهم وقيادتهم، ويقال : أسَاسُوا فلانًا أمورهم: ولَّوْهُ إيَّاها " (أنيس، 2004، صفحة 462). ويقال : " هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته " (الزبيدي، 1965، صفحة 175).

ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي لها حيث إنّ مفهومها الاصطلاحي كما ورد في موسوعة السياسة هي: " فن ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة، وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم " (الكيلاني، 1994، صفحة 362) وورد هذا المفهوم كذلك في حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله:" كانت بنو إسرائيل تسوسُهم الأنبياء كُلَّمَا هَلكَ نبيٌّ خلفَه نبيٌّ، وإنّه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خلفاءُ فيَكثُرون، قالوا فما تأمُرُنَا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أَعْطُوهم حَقَّهُم فإنَّ اللهَ سائِلُهُم

عمَّا استَرعَاهُم" (البخاري، 2018، صفحة 3455)ففي عبارة « تسوسهم الأنبياء» دلالة على توليهم الأنبياء لأمور الرعية وتدبير شؤونهم كما يفعل ذلك الحكام والولاة .

وأما اللغة فأصلها: " لُغَيٌ أو لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغًي مثل: بُرَه و بُرًى، ولُغاتٌ أيضا. وقال بعضهم لغاتَهم بفتح التاء، وشبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء. والنسبة إليها لُغَويّ... واللَّغا: الصوت مثل الوَغا ويقال أيضا: لَغِيَ به يَلْغَى.لَغًا؛ أي: لَهِجَ به " (الجوهري، 2009، صفحة 1039) .

وأما في الاصطلاح فإن ابن جني يعبر عن اللغة بقوله :" حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (جني، 2006، صفحة 33)، ويقول عنها ابن خلدون: " اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشيء عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" (خلدون، 1988، صفحة 53).

ويظهر من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي أن اللغة لا تحدها الألفاظ والكلمات بل هي أشمل من ذلك إذ تشمل الأصوات لأنها أعم وأشمل، وبها يتم التواصل بين المتكلمين والمتخاطبين لنقل المعاني والتعابير .

وأما السياسة اللغوية فهي تركيب لجزأين اثنين متقاربين ومتداخلين بعضهما ببعض، ويعرفها لويس جان كالفي في كتابه حرب اللغات والسياسات اللغوية بقوله: " نحن نعتبر أنّ السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن" (كالفي، 2008، صفحة 221)أو هي "قرار تتخذه أمة أو مؤسسة ما، وذلك للتعامل مع اللغة أو اللغات التي يستعملها شعب أو مجتمع ما، مثل : اتخاذ اللغة العربية الفصحى أداة للتعليم والإدارة والتواصل الرسمي بين أفراد المجتمع" (إسماعيل، 2015، صفحة 06)، ومعناه أن من يقر هذه السياسة هم السياسيون وأصحاب القرار من خلال سن قرارات للتعامل مع اللغة الرسمية واللغات الأخرى داخل الدولة.

كما أنه يمكن اعتبار السياسة اللغوية هدفا من أهداف السياسة العامة للدولة لتدبير شؤون المجتمع مع ما يتماشى مع تطلعات أفراده وطموحاتهم من جهة، وهدف من أهداف السياسة التعليمية في البلاد، والتي ترمي إلى إكساب الأفراد معارف وأفكار تعيينهم في بناء ذواتهم وبناء مجتمعهم، فكريا ومعرفيا وثقافيا وغيرها من مجالات الحياة الاجتماعية .

2-أهمية السياسة اللغوية:

تبرز أهمية السياسة اللغوية في بلد يملك زمام سلطته في كونه يتتبع الجهود المبذولة لإصلاح الوضع اللغوي الموروث، و إرساء نظام وطني للتعامل الإيجابي مع المسألة اللغوية في عمومها، ومع اللغة الوطنية بصفة خاصة، وتحديد نظرة المسؤولين وموقفهم من هذه اللغة، والمساعي المبذولة في سبيل تعزيز صلة المجتمع بلغته وتقوية اهتمامه بها؛ لأنها المميزة له والمعبرة عن شخصيته انطلاقا من كون اللغة جزءا من المجتمع، ومن الحقائق التي تعيش في أعماق وجدان أفراده، فهي تعتبر عندهم الروح والقلب ونمط التفكير، ونظرتهم إلى ذاتهم وذوات الآخرين، (فضيل، 2014، صفحة 90) ولا يتأتى ذلك إلا من خلال قرارات سياسية واعية من السلطة الوطنية التي لها يرجع القرار أولا وأخيرا، ويكون ذلك من خلال تكييف التغيرات التي يمكن أن تطرأ على اللغة حسب ما يقتضيه الواقع الاجتماعي.

3-السياسة اللغوية في الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسي:

لقد تعاقبت على الجزائر العديد من المماليك والإمبراطوريات من القرطاجيين والنوميديين إلى هيمنة البيزنطيين والرومان والوندال ثم الأقليات المستقلة، إلى أن جاء القرن السابع أين بدأ الفتح الإسلامي في منطقة المغرب العربي من الرستميين وصولا إلى الموحدين ثم الدولة العثمانية التي ازدهرت وقتها الجزائر ازدهارا لم يسبقه في أمم الأولين، ويقول المؤرخ الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم واصفا الجزائر في تلك الفترة: " الجزائر لم تكن فقط دولة، ولم تكن فحسب دولة عظمى **grande puissance** بل كانت في قمة الدول العظمى **grande super puissance** وحتى السفراء والمبعوثون الذين يرسلون إلى دايات الجزائر من رؤساء دولهم كانوا يستشعرون ذلك عند بدء مهمتهم" (بلقاسم، 2007، صفحة 332).

هذه المكانة والقيمة الرفيعة للجزائر تلك الفترة أدت إلى تكالب الدول الأوروبية وطمعهم في ثرواتها؛ لأن الجزائر كانت عندما تذكر يسيل لعاب الأوروبيين لما فيها من خيرات وأموال، و بدأت معها سلسلة من الهجمات البحرية من الإسبان والبريطانيين والهولنديين والدانمركيين والفرنسيين وغيرهم إلى أن سقطت في أيدي الفرنسيين بعد حصار دام مدة 3 سنوات امتدت من سنة 1827 إلى 1830 بعد انهزام الأسطول الجزائري والعثماني في معركة نافرين ثم حادثة المروحة التي كانت ذريعة مهدت بها فرنسا احتلال الجزائر الذي بدأ معه غزو الأرض والإنسان والدين والثقافة واللغة.

ولقد سعى المستعمر فيها إلى محاولة طمس الهوية الوطنية التي من أهم عناصرها اللغة وذلك من خلال محاولة تغريب الشعب الجزائري من خلال سنّ سياسة لغوية جديدة تهدف إلى القضاء على التعليم واللغة والدين والثقافة، يقول وزير التربية الفرنسية رامبو:" لقد انتهى الغزو الأول للجزائر الذي تم بالسلاح عام 1871 وتطلب الغزو الثاني حمل الجزائريين على تقبل إدارتنا وقضائنا، أما الغزو الثالث

فسيتم بالمدرسة : يجب أن تحقق المدرسة الفرنسية تفوق لغتنا على مختلف اللهجات وترسخ في أذهان الجزائريين عظمة فرنسا ودورها في العالم" (حلوش، 1999، صفحة 93) .

وتظهر بعض التقارير الفرنسية المرسلة سنة 1947 ما يلي: " الجزائر لن تصبح فرنسية إلّا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها، والعمل الجبار الذي يتحتم علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين " (حسين، 2011، صفحة 49).

ولأن اللغة العربية كانت متجذرة عند الجزائريين بعد الفتوحات الإسلامية التي سعت إلى تعريب المناطق المفتوحة ونشر الإسلام فيها يقول مبارك الميلي: " لما جاء العرب إلى المغرب كان انتشار لغتهم مسايرا لجنودهم، فما فُتحت قطعة منه حربيا إلا انتشرت بها لغتهم، وكان لذيوع حضارتهم بين البربر نفس السرعة التي كانت لفتوحتهم " (الميلي، 1986، صفحة 40) .

ولأن المستعمر الفرنسي لا يؤمن إلا بالنصب والسلب فقد سعى لعملية مسخ ثقافة الشعب محاولا القضاء على العلم والتعليم ونشر الأمية، فبعد ثلاثين سنة من الاحتلال فقط ارتفعت نسبة الأمية من أقل من 20 % إلى أعلى مستوياتها، ففي وقت الثورة وصلت نسبة الأمية إلى أكثر من 80 % وصاحب ذلك محاولة توسيع الهوة بين اللغة العربية ومتكلميها من جهة، وإحلال اللغة الفرنسية مكانها من جهة أخرى، وكل ذلك في سبيل تحقيق التوسع اللغوي والثقافي والديني للفرنسية في الجزائر ثم القارة الإفريقية؛ ولهذا فقد " عملت فرنسا على إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية؛ لأنها أدركت أنه لن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته " (خلوي، 2017، صفحة 34)

ويكون منشأ هذا التحول " من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة للعاطفة والفكر حتى إنّ أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء " (الرافعي، 2000، صفحة 27) .

وراحت فرنسا تملأ الجزائر بالمعمرين الفرنسيين الناطقين باللغة الفرنسية والمدرسين الذين يعلمون أبناء الشعب الجزائري – ولو بنسبة قليلة – شتى العلوم والمعارف باللغة الفرنسية كذلك، فيما انحصرت اللغة العربية على الكتاتيب والزوايا التي تدرس القرآن الكريم، وفي التعليم بنسب ضئيلة لتصبح مادة غير إلزامية على خلاف اللغة الفرنسية التي انتشرت في المؤسسات التعليمية والإدارية

وقنوات التواصل من جرائد ومذاييع وكتب، وهذا الوضع ساهم في تفشي الأمية نظرا لعزوف العديد من المتمدرسين عن تعلم هذه اللغة التي كانت تمثل عندهم لغة المحتل الغاشم.

هذا الوضع الذي أرادته السلطة الاستعمارية للغة العربية في الجزائر جعلها تقع فيها شباكها؛ حيث شكلت اللغة الفرنسية وعيا كبيرا لدى الشعب بضرورة المقاومة وافتكاك الحرية، وذلك لأنّ أغلب زعماء أحزاب الحركة الوطنية واللجنة الثورية كانوا قد تلقوا تعليمهم الأول في المدارس والمنظمات النقابية اليسارية الفرنسية، وخير دليل على صحة ذلك أنّ أغلب المعاهدات والاتفاقيات الموقعة مع المحتل في إطار المفاوضات كانت باللغة الفرنسية، ولقد شكل ذلك دراية عند هؤلاء الزعماء بنوايا المستعمر الاستيطانية وسبله لطمس هوية الشعب الجزائري والقضاء على مقدساته.

ويظهر دور جمعية العلماء المسلمين في هذا المجال من خلال السياسة اللغوية التي اتبعتها لإصلاح أفراد المجتمع الجزائري وتنقية بيئته الدينية والثقافية والوطنية والعلمية. يقول الإمام عبد الحميد بن باديس: " لا رابطة تربط بين ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر ومستقبلنا السعيد، إلّا هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة " (الطالبي، 1997، صفحة 265). فهو يعتبر اللغة العربية من أهم مقومات المواطن الجزائري، وأنّ كلّ مساس بها يشكل تحولا في شخصيته دينيا ووطنيا وقوميا وفكريا.

4- حالة اللغة العربية بعد الاستقلال:

لقد ساهمت نسبة الأمية المرتفعة عند الشعب الجزائري في استمرار هيمنة اللغة الفرنسية بعد الاستقلال؛ لأنّ معركة البناء بدأت لتشمل جميع الهياكل القاعدية للدولة، ولأنّ الموظفين الذين تم تعيينهم في الإدارات والمؤسسات التعليمية كانوا من النخبة القليلة التي تمدرست في المدارس الفرنسية وقت الكولونيالية، ساهم كذلك بشكل كبير في بقائها بعد الاستقلال لمدة طويلة لعدم وجود بديل عنها في التعاملات الإدارية والتعليمية.

ولهذا فقد وجدت اللغة العربية نفسها بعد الاستقلال ما تزال تعاني من الانحصار والإقصاء الذي أراده لها المحتل مسخرا له كل الوسائل القانونية والسياسية والإدارية بصيغة مباشرة أو غير مباشرة، وتصرح التعليمة الفرنسية التي وجهت إلى حاكم الجزائر في أوائل الاحتلال بذلك، حيث جاء فيها أنّ " إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلّا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية، والعمل الجبار الذي يتوجب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية " (الشيخ، 1972، صفحة 113).

ولم يغفل قادة الثورة النوفمبرية عن هذه النوايا، بل عرفوا ما يترصدهم ويترصد لغتهم، لذا فقد عرفت اللغة العربية معهم انتعاشا؛ حيث تم التعامل بها في الاتصالات والمراسلات والخطب والأخبار المكتوبة والمسموعة، وحتى في السجون كانت اللغة العربية تصدّر للمساجين فكانوا يتعلمونها ويعلمونها كي تتوسع وتنتشر في سبيل استعادة أمجادها وتحضير الأجواء الثقافية التي تنسجم مع عهد الاستقلال الذي أيقنت القيادة الثورية أنه آت لا محال عاجلا أو آجلا .

5- السياسة اللغوية في مجال التعليم والتكوين بعد الاستقلال:

لقد كان الفاتح من شهر نوفمبر سنة 1954 إيذانا ببزوغ فجر جديد للعربية، ولقد تجسد ذلك من خلال محاولة تعميمها من طرف قادة الثورة، وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 وجد قادة الثورة والبناء أنفسهم في مواجهة واقع مرير كانت تعانيه لغة الدين والأجداد نظرا لهيمنة اللغة الفرنسية واكتساحها لمرافق الدولة وتجذرها فيها لمدة طويلة من الزمن مما يصعّب أمر التعريب والتصحيح بين عشية وضحاها، لذلك فقد اتبعت الجزائر منذ الاستقلال سياسة لغوية حاولت من خلالها أن ترد للغة العربية مكانتها، ولذلك فقد ظهرت مجموعة من الجهود والمبادرات الهادفة إلى معالجة المشكلة اللغوية وصيانة اللغة العربية من كل الأخطار التي تهدد وجودها، ويمكن أن نتعرض هنا لميدان التعليم والتكوين كأنموذج من نماذج التصحيح والتخلص من التبعية اللغوية، وتتمثل فيما يلي:

1.5.تحديد لغة التعليم والتكوين:

إن النشاط التربوي المبني على التحاور بين المتعلمين والمعلمين، وتنفيذ البرامج التعليمية يعتمد أساسا على اللغة، لذلك كان لزاما على صناع القرار بعد الاستقلال أن يحددوا لغة التعليم والتكوين، ولأنّ اللغة العربية لم يكن لها وجود في برامج التعليم والتكوين الموروثة عن النظام الفرنسي فإنّها تنتظر قرارا سياسيا لترسيمها لغة رسمية للدولة؛ لأن اللغويين لا يمكنهم اتخاذ القرار لوحدهم بل يتطلب ذلك قرارا حكوميا يصادق عليه البرلمان أو يذكر في الدستور، ولقد حظيت اللغة العربية حقيقة باهتمام كبير فقد مهّد بيان الفاتح من نوفمبر الطريق لترسيمها، وأشاد بها زعماء المقاومة، وجعلتها جمعية العلماء المسلمين من الأولويات، وانطلقت " جهود كبيرة رامية إلى تصحيح الوضع اللغوي من خلال الشروع في تعليمها للناشئة، وإيجاد الظروف التي تمكن اللغة من استرجاع مكانتها، وتمكن الأجيال من تعلم لغتهم وامتلاك أساليب التعبير بها، ثم ارتقت هذه الجهود إلى مستوى آخر هو التعليم بها؛ أي جعلها أداة توصيل المعارف للمتلقين تمهيدا لتهيئتها وتأهيلها لممارسة العمل بها من خلال إدراجها كوسيلة عمل في الحياة العملية " (فضيل، اللغة ومعرفة الهوية في الجزائر، 2013، صفحة 45) .

ولقد كانت الجزائر من بين الدول التي عاشت ظروفا تاريخية واجتماعية صعبة انبثق عنها وجود أكثر من لغة في ثقافتها الوطنية، ولذلك فقد كان التحدي يتمثل في إرساء سياسة رشيدة تضمن أهداف العدالة والموازنة في عملية التقنين وترسيم المحتوى اللغوي، حيث يشارك في هذه العملية رجال السياسة والتعليم والخبراء والمثقفون وجمعيات أولياء التلاميذ، وكل من يهمهم شأن التعليم بشكل من الأشكال، وبما أنّ اللغة الوطنية هي الرابط بين أبناء الشعب الواحد والأمة الواحدة، فإذا نالت اللغة حقها من العناية في المدارس والمعاهد ووسائل الإعلام عملت على توثيق هذه الروابط (الإبراهيمي، 2007، صفحة 190)، وقد أُستهدف التعليم بشكل خاص كونه الأداة الأولى لنشر اللغة الرسمية وترقيتها .

2.5.قرارات ترسيم اللغة العربية:

من الاستراتيجيات التي اتخذتها الدولة الجزائرية في الفترة الانتقالية بعد الاستقلال في إطار السياسة اللغوية هو ترسيم اللغة العربية، ويظهر ذلك من خلال القرارات التي تم سنّها بعد ذلك والمتمثلة فيما يلي (فضيل، اللغة ومعرفة الهوية في الجزائر، 2013، الصفحات 46-47):

- مرسوم يحدد مصير اللغة العربية في البلاد ويجسد في الدستور الوطني الأول الذي كان في سنة 1963، والثاني سنة 1976 وتنص المادة الثالثة منهما على أنّ « اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية ».

- صدور أول قرار في بداية الاستقلال خاص " بترسيم تدريس اللغة العربية في جميع مستويات التعليم بواقع سبع ساعات في الأسبوع، وينفذ هذا القرار حسب الإمكانيات المتوفرة ".

- القرار الذي يقضي بالشروع في تعريب التعليم بداية من تعريب السنة الأولى ابتدائي حيث تم ذلك في الموسم الدراسي 1965/1964، تلاه تعريب السنة الثانية ثم الثالثة بعد توقف لم يطل كثيرا، خصصت الجهود الأولى في هذه المرحلة بتعريب السنة الرابعة في مطلع السبعينات، أين أصبحت الصفوف الأربعة الأولى من التعليم معرّبة وموحدة.

- المرسوم الذي يعرب تدريجيا المواد الاجتماعية (تاريخ، جغرافيا، فلسفة، تربية) في كامل مستويات التعليم العام ومؤسسات التكوين.

- الأمر الرئاسي 04 بتاريخ 1968/04/26 الذي يقضي بإجبارية معرفة اللغة العربية على كامل الموظفين ومن يماثلونهم .

- المرسوم الذي يسن التعريب للمواد العلمية مع تعريب شعب الآداب بجميع موادها، ولقد نتج عن هذا الإجراء إزدواجية في التعليم، نظام يُعنى بتلقين المواد العلمية بالعربية ابتداء من الصف الخامس الابتدائي إلى نهاية التعليم الثانوي، ونظاما موازيا يُعنى بتلقين المواد نفسها بالفرنسية، حيث ظهرت الأقسام المزدوجة والأقسام المعربة.

- القرار الذي يعتمد التعليم الأساسي بتاريخ 1976/04/16 ويجعل اللغة العربية لغة تعليم جميع المواد، ويحدد دور اللغة الأجنبية باعتبارها لغة مساعدة يدرج تعليمها في الصف الرابع.

- قرار تعريب ثلثي الأقسام المتبقية وتوحيد لغة التعليم في جميع المراحل واستمر لعام 1989حيث أصبح جميع التلاميذ يتلقون برنامج موحد وبلغة واحدة، ويركز على توجيه لغة التعليم وتجاوز حالة الانقسام لتصحيح الوضعية الانتقالية، ولقد امتد هذا الإجراء إلى توحيد الفروع في أقسام كليات العلوم الإنسانية في الجامعة بحيث تم إلغاء الفروع التي كانت تهيء الطلاب باللغة الفرنسية.

- الإجراء المتضمن تنفيذ قرارات اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني بخصوص الدعوة إلى تنفيذ توصيات الندوة الوطنية الأولى للتعريب التي انعقدت عام 1975 بإشراف الرئيس الراحل هواري بومدين، وقد شملت التوصيات عددا من المجالات منها: تعريب الحالة المدنية، وتعريب مظاهر المحيط والأختام الرسمية، والشروع في تعميم العمل باللغة العربية في المصالح المتعاملة مع الجمهور، وغير ذلك مما جاء في توصيات الندوة التي غطت كل المجالات بما فيها مجال التعليم العالي.

- تعريب الجرائد التي كانت تصدر باللغة الفرنسية ومعها البرامج الإعلامية وإنشاء جرائد ومجلات باللغة العربية.

3.5.التعريب:

لقد اتبعت الجزائر بعد الاستقلال سياسة لغوية هدفها إرجاع مكانة اللغة العربية، وانطلق التصحيح اللغوي الذي انتهج سياسة التعريب الذي كان " اختيارا أساسيا، فهو محور أساسي في سياستها اللغوية والثقافية، فمنذ سنة1962 أعربت الجزائر عن انضمامها واندماجها في الرقعة الحضارية الثقافية للأمة العربية والمجموعة الإسلامية بتبنيها المبدأين الأساسيين اللذين ستؤسس عليهما سياستهما الاجتماعية والثقافية، ألا وهما إحياء اللغة العربية وإعلان الإسلام دينا للشعب والدولة، فكانت الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذا الهدف تتمثل في وضع سياسة التعريب من أجل القضاء على آثار الاستعمار الثقافي

والدمار الناجمة عن سياسة الإدماج التي مارستها فرنسا " (الإبراهيمي، 2007، الصفحات 187-188) كان التعريب من بين أهم الأدوات التي استعملها صناع القرار بعد الاستقلال لمقاومة المستعمر وإرجاع السيادة والهيبة للدولة الحديثة وإعلاء قيمة لغتها التي تمثل هوية شعبها، ولقد مرّ التعريب في المنظومة التربوية الجزائرية بثلاث مراحل هي (بلعيد، 2012، صفحة 244):

المرحلة الأولى: (1962-1970):كانت المحاولة الأولى تقضي باستعمال اللغة العربية في السنوات الأولى من التعليم الإبتدائي، ولقد توّج الموسم الدراسي 1965/1964 ببداية تطبيق القرار، ثم تلاه تعريب السنة الثانية ثم الثالثة، وفي مطلع السبعينات جاء تعريب السنة الرابعة، ولقد أدّى افتقار الجزائر للإمكانات المادية والبشرية لتطبيق ذلك إلى محاولة استعادة المدرسين الجزائريين الموجودين في الخارج، بالإضافة إلى الاستعانة بمدرسين أجانب من المشرق العربي.

المرحلة الثانية:(1971-1979): لقد أطلق عليها الرئيس الراحل هواري بومدين «سنة التعريب»، فأصدرت توسع لزوم معرفة اللغة العربية والتعريب في جميع القطاعات، كما حظي التعليم العالي باهتمام كبير، وخصصت له وزارة، وفي هذه المرحلة أيضا جرى تعريب ثلث أقسام التعليم العام للأقسام المفتوحة من الصف الخامس، وصولا إلى إعادة تعريب أقسام الثانوية تخصص الأدب، وتعريب المواد الاجتماعية ومادة الفلسفة، إضافة إلى تعريب جميع معاهد تكوين المعلمين لمرحلة التعليم الأساسي والثانوي سنة1973.

المرحلة الثالثة: من سنة 1980 إلى اليوم: وتم فيها تعريب جميع الأطوار التعليمية، حتى الحساب يدرس باللغة العربية، ثم تعريب التعليم العالي وإدارته من خلال المرسوم الصادر في 1981/08/18. والقاضي بتعريب العلوم الاجتماعية، أما العلوم الطبية والعلوم الدقيقة فلغة التدريس هي الفرنسية؛ وكانت أول دفعة معربة سنة 1984، كما شمل التعريب الأساتذة بتحويلهم من مدرسين للغة الفرنسية إلى مدرسين باللغة العربية، ولم يشمل التعريب التعليم فقط بل امتد لوسائل الإعلام والاتصال، وحتى تعريب المحيط الاجتماعي.

4.5.بناء نظام تربوي جزائري:

لقد وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال أمام منظومة تربوية بعيدة كل البعد عن الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشه الجزائريون آنذاك؛ لأنّ المضامين والمناهج التي سطرت كانت موجهة بالخصوص للمعمرين الفرنسيين أو بعض الطبقات الاجتماعية الجزائرية، لإضافة إلى مغادرة معظم الفرنسيين غداة الاستقلال .

هذا الوضع ألزم الدولة أن تستجيب لطموحات الشعب وأن تبرز هويته ووطنيته من خلال ضمان حقه في التربية والتعليم، ويظهر ذلك في السنوات الأولى للاستقلال حيث تم الإفراج على بناء نظام تربوي جزائري مستمد من الأبعاد التاريخية والحضارية للأمة الجزائرية والمقاومات الشعبية وأدبيات الحركة الوطنية، حيث تكفلت الوزارة بتنصيب لجنة تكلف بإعادة النظر في هيكلة المنظومة التربوية من حيث الأهداف والغايات، والبرامج، والمواقيت الرسمية، ولغة التعليم، وغيرها. وذلك بموجب مرسوم مؤسس في 1962/09/27 حيث نصبت لهذا الغرض اللجنة رسميا سنة 1964 مؤكدة من خلال النصوص والمواثيق الرسمية مجموعة أهداف كان أهمها التأكيد على:

- البعد الوطني.
- ديمقراطية التعليم.
- التعريب.
- الجزأرة.
- الخيار العلمي والتكنولوجي (المجلس الأعلى للتربية، 1998، صفحة 11).

6.تقييم المبادرات والاقتراحات:

- تعتبر الجزائر من بين أثرى الدول تجربة في مجال تعريب التعليم رغم المعاناة والانتكاسات المتتالية نظرا لتحصّن الإدارة والتعليم من التعريب منذ الاستقلال؛ وذلك لصعوبة التخلص من اللغة الفرنسية التي تجذرت فيها منذ عقود .

- كانت الخطوة الأولى من التعريب تشكل تحوّلا من العناية بتعليم اللغة إلى العناية بجعلها أداة للتعليم لكنها كانت ارتجالية تفتقر إلى خطة مدروسة، وتشكل سنة 1975 من المرحلة الثانية للتعريب ميلادا للمدرسة الجزائرية التي احتلت فيها اللغة العربية مكانة رفيعة، وفجرا جديدا للتعريب عرفت تزايدا معتبرا للتلاميذ المتمدرسين، ولكن قضية التعريب منذ الاستقلال إلى يومنا هذا لا تزال قائمة، وتبذل فيها الدولة مجهودات جبارة لإنجاحها.

- لقد سعت الدولة لبناء نظام تربوي جزائري من خلال التوظيف المباشر للمربين والمساعدين التربويين، وإعادة اللغة العربية إلى مركزها الطبيعي، وبناء المرافق التعليمية في كل نواحي الوطن، وتأليف

الكتب المدرسية وتوفير الوثائق التربوية، إضافة إلى اللجوء إلى عقود تعاون مع البلدان الشقيقة والصديقة، ومحاولة تعميم التعليم وإيصاله إلى المناطق النائية.

- لقد شكل الضعف في التعامل مع اللغة العربية والتراخي السياسي في اتخاذ القرارات الإيجابية والمسؤولة فيما يتعلق بالتصحيح اللغوي اختلالا كبيرا للغة العربية في الجزائر ولقد امتدّ من وقت الاستقلال إلى اليوم.

خاتمة:

إن تحليل واقع السياسة اللغوية في الجزائر بعد الاستقلال يحيلنا للحديث عن وضع اللغة العربية وقت الاحتلال الفرنسي، وسياسة المستعمر تجاهها؛ وذلك لأنّ الإستراتيجية اللغوية التي وضعتها الدولة الجزائرية بعد التحرر كانت تصطدم بالواقع اللغوي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي، والذي ركّز فيه المستعمر على محاولة هدم اللغة العربية الرسمية واستبدالها باللغة الفرنسية، إلى جانب توسيع الهوة بين اللغة الأصلية وناطقها، وفي هذا الإطار فقد خلصت هذا البحث إلى النتائج التالية:

_ لقد سعت السياسة اللغوية الفرنسية وقت الاحتلال إلى طمس الهوية الوطنية والتاريخية عند الجزائريين، والتي من أهم عناصرها اللغة التي لم يرد المستعمر لها البقاء لأنّها تمثل عنده الدين والقومية والوطنية، وبقاؤها موجودة يهدد بقاءه .

- لقد انكشفت نوايا المستعمر تجاه لغتهم عند الجزائريين، وعرف زعماء المقاومة وعلماء جمعية العلماء المسلمين وقادة الثورة ما يترصدهم ويترصد مقومات شخصيتهم العربية الإسلامية فراحوا يدافعون عنها، دافعين في سبيل ذلك بالغالي والنفيس.

- لقد اتبعت الجزائر بعد الاستقلال في مجال التعليم والتكوين سياسة لغوية حاولت من خلالها أن ترد للغة العربية مكانتها، ولقد كان من أهم مظاهرها: اختيار لغة التعليم والتكوين ، والتعريب، وبناء نظام تربوي جزائري.

- قطعت الجزائر شوطا كبيرا في مجال تعريب التعليم رغم المعاناة والانتكاسات المتتالية نظرا لتحصّن الإدارة والتعليم من التعريب منذ الاستقلال؛ وذلك لصعوبة التخلص من اللغة الفرنسية التي تجذرت فيها منذ عقود .

- قد شكل الضعف في التعامل مع اللغة العربية والتراخي السياسي في اتخاذ القرارات الإيجابية والمسؤولة فيما يتعلق بالتصحيح اللغوي اختلالا وتذبذبا كبيرا للغة العربية في الجزائر ولقد

امتدّ من وقت الاستقلال إلى اليوم، وذلك لأنّه كان على المسؤولين أ، ينظروا للغة على أنّها تجسّد طريقة تفكيرنا ووجهتنا الثقافية.

وعليه فإن السياسة اللغوية التي ينبغي أن تجسد هي التي تستقى من مبادئ ثورة الشعب المجيدة، وقيم حضارتها الإسلامية، وخصوصية مجتمعنا الجزائري .

قائمة المراجع:

الكتب:

إبراهيم أنيس وآخرون. (2004). المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية. مصر. ط4 .

ابن جني. (2006). الخصائص. عالم الكتب . بيروت-لبنان. دط.

ابن خلدون. (1988). ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. دار الفكر. بيروت-لبنان. ط2 .

أبو خلدون ساطع الحصري. (دت). ماهي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت-لبنان. ط2 .

البخاري. (2018). كتاب أحاديث الأنبياء. دار ابن كثير. بيروت-لبنان. دط.

الجوهري. (2009). تاج اللغة وصحاح العربية. دار الحديث. القاهرة-مصر. دط .

الزبيدي. (1965). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية. الكويت. دط .

خولة طالب الإبراهيمي. (2007). الجزائريون والمسألة اللغوية. دار الحكمة. الجزائر. دط .

عبد الحميد زوزو. (2012). الفكر السياسي للحركة الوطنية والثورة التحريرية. دار هومة. الجزائر. دط .

عبد الحميد زوزو. (2010). محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية. ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.

عبد القادر حلوش. (1999). سياسة فرنسا التعليمية. دار الأمة للنشر والتوزيع. الجزائر. دط .

عبد القادر فضيل. (2013). اللغة ومعرفة الهوية في الجزائر. جسور للنشر والتوزيع. الجزائر. ط1.

عبد الوهاب الكيلاني. (1994). موسوعة السياسة. الموسوعة العربية للدراسات والنشر. بيروت-لبنان. دط .

عمّار الطالبي. (1997). آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود. الجزائر. ط3 .

المجلس الأعلى للتربية. (1998). المبادئ العامة للسياسة التربوية وإصلاح التعليم الأساسي. الجزائر.

لويس جان كالفي. (2008). حرب اللغات والسياسات اللغوية. المنظمة العربية للترجمة. بيروت-لبنان. ط1 .

مبارك الميلي. (1986). تاريخ الجزائر في القديم والحديث. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. دط .

مصطفى صادق الرافعي. (2000). مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ط1 .

مولود قاسم نايت بلقاسم. (2007). شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. ط2 .

مقال في مجلة:

بوعمران الشيخ. (1972). المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من (1880-1940). مجلة الأصالة. العدد 06. الجزائر .

شلوف حسين. (2011). التعدد اللغوي في التخطيط التربوي الجزائري، الواقع الآفاق . مخبر الممارسات اللغوية. ج2. تيزي وزو. الجزائر .

شميسة خلوي. (2017). السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر خلال فترة الاستعمار. مجلة العلامة. ع04. الجزائر.

صالح بلعيد. (2012). التخطيط اللغوي في الجزائر. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر.

عبد القادرفضيل. (2014). و اقع السياسة اللغوية في بلادنا بعد خمسين سنة من عمرالاستقلال. مجلة اللغة العربية. مج16. ع01. الجزائر .

محمود إسماعيل. (2015). مجلة التخطيط والسياسة اللغوية. ع01. المملكة السعودية .

مجلّة انتحـــــاء

Intihaa Journal
Available online at: intihaa@ens-ouargla.dz
ISSN : المجلد (الرقم1) العدد(الرقم1)(السنة2024) : رقم صفحة البداية48 – رقم نهاية الصفحة59

الاستقلال اللغوي: جذوروامتدادات

Linguistic independence: roots and extensions

د. زكية عرعار
المدرسة العليا للأساتذة ورقلة
البريد الإلكتروني المهني: arar.zakia@ens-ouargla.dz

تاريخ الاستلام:2023/12/13 تاريخ القبول: 2023/12/30 تاريخ النشر: مارس 2024

الملخص:

من المتفق عليه أنه لا يمكن بأي شكل من الأشكال فهم طبيعة الخطابات الفكرية المعاصرة إلا من خلال ربطها بسياقاتها، وعليه تسعى هذه الورقة البحثية إلى البحث في الجذور الفكرية والمرجعيات الأيديولوجية لقضية الاستقلال اللغوي عند المستعمِر والمستعمَر على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: الاستقلال اللغوي، الخطاب الكولونيالي، الاستشراق، الدين، الإمبريالية.

Abstract

It is widely agreed that understanding the nature of contemporary intellectual discourses can only be achieved by connecting them to their contexts. Therefore, this research paper aims to explore the intellectual roots and ideological references of the linguistic independence issue both for the colonizer and even colonized.

Key words: Linguistic independence- Postcolonial discourse- Orientalism- The religion- imperialism.

مقدمة

تندرج الخطابات النقدية والفكرية والثقافية سواء الحديثة أو المعاصرة تحت إطار الخطاب ما بعد الكولونيالي، باعتبار أنّ هذا الأخير يشمل كل كتابة منذ دخول الاستعمار إلى يومنا هذا، وعلى هذا الأساس يمكن التمييز بين نوعين من الخطاب، خطاب كولونيالي إمبريالي غربي، وخطاب ما بعد كولونيالي مقاوم.

ولعلّ الإطار الفكري لقضية الاستقلال اللغوي يحدده خطاب كولونيالي مقاوم يسعى إلى التحرّر من تبعات وآثار الاستعمار على اللغة بعدّها من مقوّمات الهوية ومن أسس المشروع الحضاري. وعليه فإنّ هذه الورقة البحثية تنبني على إشكالية جد هامة مفادها: هل يقتصر مفهوم الاستقلال اللغوي على استبعاد لغة الآخر وجعلها أداة لتكريس الهيمنة الغربية؟ وهذا مايحيل إليه المفهوم في بعده اللغوي- إذا علمنا أن الخطاب الذي قوّض المركزية الغربية كان بلغة المستعمِر وفكر المستعمَر. مايعني أن الواقع الحضاري المعولم اليوم يفرض بعدا آخر لمفهوم الاستقلال اللغوي. وهو ما تستأثر بتوضيحه هذه الورقة البحثية، من خلال التطرق إلى القضايا التالية:

أولا: مكانة اللغة في الخطاب النقدي المعاصر

ثانيا: جينالوجيا الاستقلال اللغوي

ثالثا: اللغة في السياق المعولم

أولا : مكانة اللغة في الخطاب النقدي المعاصر

تطلعنا قراءة عابرة للعديد من الدراسات التي تطرح قضية الاستقلال اللغوي على عدة مفاهيم لا تكاد تتجاوز المعنى اللغوي القائم على التحرّر والاستغناء الذي يعتبر اللغة وسيلة من وسائل ضمان استمرارية الهيمنة الغربية في مرحلة ما بعد الاستعمار، وأصبحت بذلك الكلمات هي العدو على حد تعبير العديد من المفكرين والنقاد.

إلا أن المتمعن في طبيعة الحركة النقدية والفكرية العالمية في عصر العولمة سرعان ما يدرك أن الاستقلال اللغوي بهذا المفهوم يدخل الذات في عزلة كفيلة بتحقيق المساعي والغايات الإمبريالية التي عجز الاستعمار المباشر عن تحقيقها، وهو يستند إلى رؤية يحكمها

مبدأ الجوهرانية الذي سبق وأن حذر منه العديد من المفكرين من أمثال إدوارد سعيد وفرانس فانون وغيرهم.

وعليه فإن الرؤية الفكرية التي تحكم هذا التصور ما هي إلا انعكاس لطبيعة العلاقة الاستشراقية القائمة بين الذات والآخر، وهي علاقة سبق وأن حددها الراحل عفيف فراج في كتابه "ثنائيه شرق غرب" بقوله: "منذ اليونان حتى اللاتين وصولا إلى يومنا هذا يستمر الغرب في تحقير الآخر وتأليه الذات"

ولقد أدى الخوض في قضية اللغة بعدّها من مقومات الاستقلال إلى جدل عقيم بين مؤيد ومعارض، بين من يرى لغة الآخر وسيلة من وسائل التبعية، وبين من يراها وسيلة للّحاق بركب الحضارة والتطوّر والرقي.

1/ اللغة والإمبريالية:

أدرك العديد من المفكرين والنقاد طبيعة الإمبريالية الغربية القائمة على الهيمنة غير المباشرة، التي استعملت فيها كافة الوسائل عدا السلاح، وفي هذا السياق تم الكشف عن البعد الإمبريالي للغة، ويعد الكاتب الكيني **نغوجي و اثيونغو** من أبرز من تناول هذا الطرح بالدراسة والتحليل، فاللغة عنده وسيلة من وسائل التبعية الفكرية للمستعمر، عبر عن ذلك في كتاب رائع يحمل عنوان **تصفية استعمار العقل** جاء هذا الكتاب ليودع من خلاله الكتابة بلغة المستعمِر، وهي كما يشير عنوان الكتاب << أداة الإخضاع العقلي والروحي التي تأتي في مقابل الرصاصة التي هي أداة الإخضاع الجسدي، وهي بذلك أخطر وسيلة من وسائل فرض الاستعمار في صورته الجديدة، وهو ما يسميه بالوضع **النيوكولونيالي** الذي تحاول من خلاله أوروبا شلّ حركة الثقافة والعقل الإفريقيين، وفي المقابل الإرتقاء بالعقل الأوروبي، باعتبار أن الغرب يبني هويته على إقامة ثنائيات متضادة ترمي إلى تمجيد الذات وتدنيس الآخر >> (زكية عرعار، 2021، ص: 130).

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن المشروع الفكري لواثيونغو انبنى على رؤية مقاومة للمد الجامح للفكر الغربي، مؤكدا في هذا السياق على أن المستعمِر الحقيقي هو الغرب (المستعمِر، الاستعمار، الإعمار، التعمير) باعتبار أن أوروبا نهبت خيرات وثروات العالم الثالث، وهي اليوم(في سياق حديث واثيونغو) << تسرق كنوز العقل الإفريقي لتغني لغاتها وثقافاتها >> (نغوجي واثيونغو، 2011، ص: 12).

ولقد أدرك الأثر النفسي الذي يترتب عن الإمبريالية اللغوية، ويتمثل في ما سّماه **بالقنبلة الثقافية** التي ترمي إلى << إبادة إيمان شعب بأسمائه ولغاته وبيئته وإرثه النضالي وقدراته وفي النهاية، إبادة إيمان شعب بنفسه، إنها تجعل الناس ينظرون إلى تاريخهم باعتباره يبابا لا منجز فيه، وتجعلهم يريدون أن يتماهوا مع الأبعد عنهم، مثلا مع لغات شعوب أخرى لا مع لغتهم هم >> (نغوجي واثيونغو، 2011، ص: 18) وهذا هو مكمن الخطر والأثر البعيد المدى للقضية.

2/ اللغة والمقاومة:

قراءة عابرة لمضامين الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي كفيلة بأن توقعنا في مفارقة بين المعاني المتضمنة في هذا الخطاب من جهة، وطرائق التعبير عنها من جهة ثانية، باعتبار أن لغة الآخر هي الوسيلة التي عبر بها كل من إدوارد سعيد وهومي بابا وجاياتري سبيفاك وغيرهم كثر... عن مضامين خطاباتهم، وعليه فإن السؤال الذي يطرح في هذا السياق - طبعا إذا علمنا أن لغة الآخر << وظيفتها في وضع مفاهيم الفكر هي قمع الآخر وجعله تحت رعاية الذات >> (روبرت يونغ، 2003، ص: 73) - فما الذي تمثله اللغة بالنسبة لهؤلاء المفكرين والنقاد؟ تقودنا الإجابة عن هذا الإشكال إلى الخوض في قضية أعمق وهي تفكيك الإمبراطوريات الغربية من داخلها، وهو ما سمّاه إدوارد سعيد **بالرحلة إلى الداخل** التي تقوم على تفكيك المركزية عن طريق استخدام أدواتها وفكرها وثقافتها، وهذا ما جعل من لغة الآخر << لغة حبلى بتجارب ثقافية ومواقف ايديولوجية عالمثالثية محطمة القيود وفاضحة للسياسات الغربية الساعية لفرض الهيمنة، وهذا ما يسمى في الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي بمفهوم **الإقصاء** الذي يمثل بالنسبة لأنصار هذا الخطاب رفضا لمقولات ثقافة الإمبراطورية وجمالياتها ومقياسها التضليلي حول الاستخدام المعياري أو الصحيح وافتراضها معنى تقليديا وثابتا محفورا في الكلمات إنها لحظة حيوية من لحظات تخليص اللغة والكتابة الإنجليزية من الكولونيالية >> (زكية عرعار، 2021، ص: 133).

فعن طريق لغة المستعمِر أعاد إدوارد سعيد وغيره من المنظرين بناء صورة للذات والآخر تتنافى والتصورات الاستشراقية، وعليه فإن الخطاب مابعد الكولونيالي << يتمسك

بلغة المركز ويعيد تعيين موضعها في خطاب جرى تكييفه بالكامل لملاءمة المكان المستعمَر >> (بيل أشكروفت وآخرون، 2010، ص: 73)،

ثانيا: جينالوجيا الاستقلال اللغوي:

إن معالجة اللغة بهذا المنطق الجدلي يدخل ـ كما سبق وأن أشرنا ـ الذات في عزلة كفيلة بتحقيق المآرب الإمبريالية، ويتطلب تجاوز هذا الوضع إعادة النظر في المرجعيات والمنطلقات الفكرية التي حددت مفهوم الاستقلال، وقبل ذلك استراتيجية الهيمنة وأسس الاستشراق الذي مهد للاستعمار ومكانة اللغة في كل هذا.

1/ لغة الاستشراق:

بما أن طبيعة الفكر الاستشراقي يحكمها منطق الخوف من الإسلام فإن لغة الاستشراق هي لغة الحبلى بالعديد من التصورات التي كانت بمثابة المنطلق الإيديولوجي لعلاقة الذات مع الآخر، وهي بذلك **"لغة الوجود"** نظرا لمكانة الفكر الاستشراقي ودوره في إعادة بناء الخارطة الفكرية للعالم.

ولعل الناظر في مصطلح "**لغة الوجود**" يدرك تمام الإدراك بأن مفهوم اللغة هنا لا يقتصر على الجانب الشكلي بقدر ما يتجاوزه إلى البعد الفكري الذي يعكس مستوى وعي وإدراك حقيقة الوجود. والحقيقة هنا بالمعنى النيتشوي للحقيقة، هذه التي تتجسد أساسا في اللغة، وحقيقة اللغة ما هي إلاّ <<جيش متحرك من الاستعارات والكنايات والتشبيهات بالإنسان، وباختصار مجمل علاقات بشرية قامت عوامل شعرية وبلاغية بالارتقاء بها وتبديل مواقع أجزائها وتجميلها، فأصبحت تبدو بعد طول استعمالها (حقائق) صلبة وفقهية وملزمة لشعب من الشعوب، ما الحقائق إلا أوهام نسي المرء أنّها كذلك في الواقع>> (إدوارد سعيد، 2006، ص: 43-44). وعليه فإن الإشكالية الأساسية تتجاوز كونها إشكالية لغة بقدر ما هي إشكالية وعي بحقيقة وجود الاستشراق، هذا الذي كان بمثابة المرحلة التمهيدية للاستعمار، الذي أجّج بدوره روح المقاومة التي لم تكتف بالاستقلال السياسي بقدر ما اعتبرت الاقتصار عليه استمرارا للاستعمار، وفي هذا

السياق يعتبر الوعي بالمهمة المنوطة بالمقاومة الثقافية كفيل بتحقيق مهمة حضارية بامتياز.

وعلى هذا الأساس تعد قضية اللغة تحصيلا حاصلا لمستوى الوعي بجينالوجيا الصراع، باعتبار أن اللغة في نهاية المطاف هي << صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه فهي قومية الفكر وأساليب أخذ المعنى من المادة >> (مصطفى صادق الرافعي، ت ط: 2000، ص: 26)، ومن المعلوم أن وجود الأمة كان وما زال محور الدراسات الاستشراقية التي ألغت وجودها ـ أي وجود الأمة ـ وربطت تاريخ المستعمرات بتاريخ استعمارها، ففرنسا مثلا اعتبرت أن تاريخ الجزائر يبدأ بدخول الاستعمار، وقبل 1830 كانت مجرد تجمعات بشرية بربرية. ما يعني أن سياسة الاستشراق أدركت تمام الإدراك مكانة الأمة ودورها في تحقيق الوجود، وليست حقيقة الأمة << في هذا الظاهر الذي يبدو من شعب مجتمع محكوم بقوانينه وأوضاعه، ولكن تلك الحقيقة هي **الكائن الروحي** المكتنّ في الشعب، الخالص له من طبيعته، المقصور عليه في تركيبه كعصير الشجرة، لا يُرى عمله والشجرة كلها هي عمله >> (مصطفى صادق الرافعي، ت ط: 2000، ص: 26)

هذا الكائن من شأنه أن يحقق << في الشعب قرابة الصفات بعضها من بعض، فيجعل للأمة شأن الأسرة، ويخلق في الوطن معنى الدار، ويوجد في الاختلاف نزعة التشابه، ويرد المتعدد إلى طبيعة الوحدة، ويبدع للأمة شخصيتها المتميزة، ويوجب لهذه الشخصية بإزاء غيرها قانون التناصر والحمية، إذ يجعل الخواطر مشتركة والدواعي مستوية والنوازع متآزرة، فتجمع الأمة كلها على الرأي، تساند له بقواها، ويشدّ بعضها بعضا فيه، وبهذا كله يكون روح الأمة قد وضع في كلمة الأمة معناها >> (مصطفى صادق الرافعي، ت ط: 2000، ص: 26)

وعليه فإن تراجع مكانة اللغة نابع من ضعف هذا الكائن الروحي للأمة، باعتبار أن << الخلق القوي الذي ينشئه للأمة كائنها الروحي، هو المبادئ المنتزعة من أثر الدين واللغة والعادات، وهو قانون نافذ يستمد قوته من نفسه، إذ يعمل في الحيز الباطني من وراء الشعور متسلطا على الفكر مصدقا لبواعث النفس، فهو وحده الذي يملأ الحي بنوع حياته، وهو طابع الزمن على الأمم، وكأنه على التحقيق وضع الأجداد علامتهم الخاصة على ذريتهم >> (مصطفى صادق الرافعي، ت ط: 2000، ص: 26).

وفي إطار الوظيفة المنوطة بهذا الكائن الروحي، والتي تتمثل في ملء الحي بنوع حياته يتضح بأن النسق المضمر للإمبريالية هو تحطيم هذا الكائن، الذي يمثل حقيقة وجود الأمة، وهذا ما تؤكده الدراسات النقدية المعاصرة "المتمثلة في النقد الذاتي" التي سلطت الضوء على تحليل طبيعة الفكر الذي يجسد مستوى الوعي بجينالوجيا الصراع.

ولعلّ مضامين هذه الدراسات تعكس نوع الحياة في ظل ضعف الكائن الروحي للأمة، فهو "**الاختراق الكولونيالي**" للفكر العربي عند "جوزيف مسعد" في كتابه "اشتهاء العرب" وهو "**القابليه الاستعمار**" عند "مالك بن نبي" وهو "**الاستحمار** "عند "علي شريعتي" في كتابه "النباهة والاستحمار"، باعتبار أنّ الاستعمار في نظر "شريعتي" مصدره خارجي في حين نجد أن الاستحمار مصدره داخلي، وهو أن يسخر الإنسان كما يسخر الحمار لخدمة رؤية معينة، ولا يتم هذا الوضع إلا بفقدان ما سماه بـ"الوعي النفسي".

وعليه يمكن القول بأن نوع الحياة التي يمنحها **الكائن الروحي** للأمة في وضعه هذا أقل ما يقال عنها أنها حياة تفتقر إلى الحياة، ووجود يفتقر إلى الوجود، <<وجود تبعية>> وتصبح من البديهي صورة وجود الأمة التي هي اللغة في مستوى الضعف والهوان الذي تعانيه الأمة ذاتها، وفي هذا السياق يصبح الخوض في قضية اللغة بعدّها من أهم القضايا جدل عقيم ويصبح الاستقلال اللغوي القضية التي تطفو على السطح لها جذور في الاستشراق الغربي وامتدادات في الفكر الحديث، ولا يمكن الخوض في هذه القضية إلا بمعرفة جذورها وكشف امتداداتها.

2/ اللغة والدين:

والأكيد أن المقوّم الأساس للكائن الروحي الذي يجسد مفهوم الأمة هو الدين، فالذين << يتعلقون اللغات الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق، إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية مستحكمة من قبل الدين أو القومية، فتراهم إذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ويتبرؤون من سلفهم وينسلخون من تاريخهم وتقوم بأنفسهم الكراهة للغتهم وآداب لغتهم، ولقومهم وأشياء قومهم >> (مصطفى صادق الرافعي، ت ط: 2000، ص: 27) وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن للقضية جذور دينية في الأصل.

ومن الطبيعي والحال أن الدراسات الاستشراقية هي المرجع الذي يحكم طبيعة العلاقة بين الذات والآخر، اعتبار قضية الاستقلال اللغوي حلقة من حلقات نقد الاستشراق، وما اللغة إلا وسيلة من وسائل تشويه الإسلام، وذلك لطبيعة العلاقة الوثيقة بين الإسلام واللغة العربية. فهذه الأخيرة قد << تعرضت لأشرس الهجمات التي تواصلت عليها منذ أن

صارت لسان حضارة القرآن، وليس من بين لغات العالم لغة أصابها من الافتراء بشتى الأشكال ما نزل بنسق العربية وبديوانها الثقافي، والمستهدف في الواقع هو ما حملت من كلام رباني وسنة محمدية >> (محمد الأوراغي، 2010، ص: 68).

ولقد وردت الآيات الدالة على هذا الترابط في عدة مواضع من القرآن الكريم، أحصاها "الأوراغي" في كتابه "**لسان حضارة القرآن**" ونذكر منها في هذا السياق قوله تعالى مخاطبا خاتم النبيين [[لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين]] سورة الشعراء: الآية: 195.

كما وردت أحاديث دالة على العلاقة نفسها في السنة النبوية، يقول الأوراغي في سياق حديثه عن التحام العربية بالشريعة: << نصت السنة المطهرة على متانة هذه العلاقة تبعا لابن عطية أحد كبار المفسرين، إذ جاء في المقدمة: روى ابن عباس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي علم القرآن أفضل؟ فقال: النبي ﷺ "عربيته فالتمسوها في الشعر"، وفي أمره ﷺ بإعراب القرآن قال "أعربوا القرآن والتمسوا إعرابه عن الله فإن الله يحب أن يعرب" ثم أضاف ابن عطية معلقا على الحديثين "إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع" >> **(محمد الأوراغي، 2010، ص: 86).**

هذه الشواهد إن دلّت على شيء فإنها تدل على الترابط بين العربية والإسلام من جهة، وهذا أمر بديهي، وإدراك مكانة اللغة في تشكيل الصراع الفكري الثقافي، باعتبار أن العديد من المستشرقين أدركوا طبيعة العلاقة المتينة بين اللغة والإسلام كون هذا الأخير شكّل وما زال محور الفكر الغربي عن الذات.

وعليه فإن الحديث عن اللغة معناه الحديث عن الإسلام، وفي هذا السياق يقول المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون" << إذا كانت المهمة الدينية للغة العبرية قد انتهت مع القانون والرسل ومهمة الآرامية مع تبشير المسيح، فإن المهمة الدينية للغة العربية لم تنته بعد عند الأمم >> (عبد القادر الفاسي الفهري، 2013، ص: 9).

وفي هذا السياق يعد الحديث عن العربية حديثا هاما، وتتأتى أهميته من كونه يعكس علاقة بين الذات والآخر ساهمت في إعادة تشكيل الخارطة الذهنية للعالم، ومن المعلوم أن العلاقة بين الذات والآخر كما سبق وأن أشرنا يحكمها مبدأ الخوف من الإسلام، وبذلك فإن اللغة العربية في هذا السياق << تتواجد في مرمى الصراع الحضاري الهادف إلى استئصال المنطلق القاعدي للحضارة الإسلامية، ولا سبيل لهذا الاستئصال سوى تعميق الهوة المعرفية بين الإسلام والمسلمين حتى الانسلاخ التام >> (محمد الأوراغي، 2010، ص: 87)، ولقد تمّ التوسل بالعديد من المخططات والمشاريع غير المباشرة في سبيل تحقيق هذه

الهيمنة، ومن ضمن هذه الأساليب نذكر: << تنصيب طوائف محلية مزودة ببرامج سرمدية ذات أهداف مرحلية تبتدئ بإحداث شرخ في الكتلة العربية الإسلامية وتنتهي بإخلاء المنطقة من الدين الإسلامي واللغة العربية لفائدة لغة الآخر، وهي طوائف تستقوي على الوطنيين بدعم واسع من مستعمر الأمس وحليف اليوم >> (محمد الأوراغي، 2010، ص: 88).

ولقد شكل البحث في ماهية وطبيعة هذه المشاريع مضمون الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي الذي يبحث في طرق استمرارية الهيمنة في مرحله ما بعد الاستعمار، ولقد أدرك العديد من المثقفين والنقاد بوعي حاد طبيعة الصراع والمخططات القائمة في هذه المرحلة ودور اللغة في ذلك كله، ويؤكد أحد الدارسين في هذا السياق قائلا: << إن منع لغة الملة عن المسلمين في أوطانهم لمن أقوى الوسائل والأسباب لكتمان التنزيل ولإحكام هذا المنع اللغوي هناك طريقتان: أولا بإحلال الحرف اللاتيني محل الحرف القرآني، وثانيا إدخال لغات الشعوب الإسلامية ولغة القرآن في علاقة قوة وصراع استئصالي >> (محمد الأوراغي، 2010، ص: 120).

ولقد تعددت الدراسات التي استأثرت بطرح ودراسة ومناقشة الوعي بالمضامين الفكرية لقضايا ما بعد الاستعمار وكذا مكانة الدين في تلك الخطابات، ما يؤكد في نهاية المطاف أن هذا الوعي شكّل ويشكّل منعطفا حادا في مسيرة الفكر المركزي والعالمثالثي على حد سواء، وهو كفيل بتجاوز الصراعات الفكرية الداخلية بين مؤيد ومعارض، وفي هذا السياق يقول الرافعي: << إذا قويت العصبية الدينية وعزّت اللغة وثارت لها الحمية، فلن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمة يرتفق بها، ويرجع شبر الأجنبي شبرا لا مترا، وتكون تلك العصبية للغة القومية مادة وعونا لكل ما هو قومي، فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبة هي قوة الإيمان بالمجد الوطني والاستقلال الوطني، ومتى تعيّن الأول أنّه الأول فكل قوى الوجود لا تجعل الذي بعده إلا أنه الثاني >> (مصطفى صادق الرافعي، ت ط: 2000، ص: 28).

ثالثا: اللغة في السياق المعولم:

إن طرح مناقشة الجذور الفكرية المتعلقة بقضية اللغة يقودنا إلى التسليم بأن الوعي الحقيقي في ظل العولمة التي نعيشها هو الذي يجعلنا نتجاوز الصراعات القائمة، ونجعل من اللغة وسيلة من وسائل بناء وتنمية الوعي بحقيقة وجود الذات والآخر على حد سواء ومكانة كل منهما في الخارطة الفكرية العالمية، وأن الهدف المنوط بالدراسات الفكرية هو

إيجاد طرق وسياسات للتعامل مع الوضع القائم (العولمة) لتحقيق نوع من التكامل المعرفي الذي يتجاوز أفكار من مثل الصراع والتنافس... باعتبار أن << السياسات الحالية هي في الغالب وليدة مخاوف مفادها أن التعددية اللغوية تشكل تهديدا للهوية الوطنية، أو أنها أحسن من أن تنتشر في المدارس محدودة الموارد، وتستند تلك المخاوف إلى ما يطلق عليه **"المعتقد التنافسي"** وهو معتقد فاسد ينظر إلى اللغات بوصفها ظاهرة مسيجة بحدود الفضاءات الجغرافية والإدراكية، أي أن إضافة لغات مزيدة إلى فضاء مستوعِب - سواء أكان ذلك الفضاء هو فضاء العقل أم الدولة - يخلق جوا تنافسيا ويشكّل تهديدا >> (دادلي رينولدز، 2019، ص: xi)

وتشخيص بسيط للسياق المعولم لخصه عنوان بحث رائع قدمه (وسيتكوت،2004) **"الغرق أم السباحة"** (دادلي رينولدز، 2019، ص: 49) من منطلق أن المحافظة على النسق العام لا تكون بانغلاقه كما قال **أدغار موران**، باعتبار أن الانغلاق هو الانقراض، والمحافظة الحقيقية على حياة النسق تكون بانفتاحه، والسياق المعولم يشكّل تحديا صعبا يجعل من الانفتاح أمرا محفوفا، فلابد له من سبل وسياسات مدروسة يحكمها مبدأ التعاون لا التنافس، وعليه فإن سياسة تدريس اللغات في هذا السياق (الذي يبحث في دور اللغة) ينبغي أن تقوم على مبادئ التعاون الآتية: (دادلي رينولدز، 2019، ص: xi)

أولا: استيعاب الاحتياجات المتغيرة من الموارد اللغوية لدى الأفراد والمجتمعات
ثانيا: انتهاج نظرة شاملة للتعدد اللغو
ثالثا: إذكاء الاحترام للاختلاف

ويبرز في هذا السياق دور التعليم الذي ساهم بشكل كبير في إعادة رسم معالم الحركة الفكرية، واعتبر موطنا من مواطن الحداثة، حيث استعمل في السياق المعولم في بناء الوعي من جهة وفهم روح العولمة من جهة ثانية، وأصبح بذلك << التعليم الذي يتسم بالتعددية اللغوية والذي يقوم على مبادئ التعاون كفيل بتحقيق تحول نوعي في المحصلات التعليمية لدى أعداد ضخمة من الطلاب بشتى أنحاء العالم، ولديه القدرة على الإسهام في تحقيق الهدف الرابع من أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة بشأن التعليم النوعي >> (دادلي رينولدز، 2019، ص: xi).

وعليه فإن طرح ومناقشة فكرة التعليم الذي يقوم على التعددية اللغوية كموطن من مواطن الحداثة في سياق العولمة كفيل بتحقيق **معرفة المعرفة** التي تجعل من الخوض في فكرة الاستقلال اللغوي بمعناه السطحي مجرد أُلهية، باعتبار أن اللغة في هذا السياق ما هي إلا مجموعة من الموارد، هي وسائل لا غايات.

خاتمة:

استأثرت هذه الورقة البحثية بطرح ومناقشة قضية الاستقلال اللغوي من خلال ربطها بالسياقات الفكرية والثقافية التي ظهرت فيها، لما لها من أثر عميق في إعادة فهم قضية الاستقلال اللغوي فهما يتجاوز المفاهيم اللغوية السائدة، وتطرقنا في سبيل توضيح ذلك إلى دراسة مكانة اللغة في ظل الخطابات الفكرية بداية من الفكر الاستشراقي الغربي مرورا بخطاب ما بعد الاستعمار الذي يمثل حلقة هامة من حلقات نقد الاستشراق وصولا إلى سياسة تدريس اللغات في السياق المعولم، لنخلص في الأخير أن قضية الاستقلال اللغوي بمفهومه السائد هو جدل عقيم وأن الاستقلال اللغوي الحقيقي هو استقلال الوعي.

قائمة المراجع:

1/ إدوارد سعيد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، 2006.

2/ دادلي رينولدز: سياسة تدريس اللغات في السياقات المعولمة، مؤسسة قطر، 2019

3/ روبرت يونغ: أساطير بيضاء كتابة التاريخ والغرب، تر: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، منشورات المشروع القومي للترجمة، العدد: 616، ط: 2، 2003.

4/ زكية عرعار: الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط: 1، 2021.

5/ عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 1، 2013.

6/ محمد الأوراغي: لسان حضارة القرآن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2010

7/ مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، الجزء: 3، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 2000.

8/ نغوجي واثيونغو: تصفية استعمار العقل، تر: سعدي يوسف،دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، د ط، 2011.

Journal
Available online at:intihaa@ens-ouargla.dz
ISSN : المجلد (الرقم1) العدد(الرقم1)(السنة2024): رقم صفحة البداية60 – رقم نهاية الصفحة76

هيمنة اللغات الأجنبية على لغة البحث العلمي العربي بدل العربية (الضرورة والخطورة والتحديات)

The Dominance of Foreign Languages over Arabic Scientific Research Language Instead of Arabic (Necessity, Danger, and Challenges)

د. سعاد شرفاوي
جامعة قاصدي مرباح
البريد الإلكتروني: souadcherfaoui@gmail.com

تاريخ الاستلام2023/11/30 تاريخ القبول:2023/12/15 تاريخ النشر: مارس 2024

الملخص:

إن المتأمل للغة البحث العلمي في الوطن العربي يلحظ أن الغلبة فيها أصبحت للغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، لذلك كان عنوان البحث: : "هيمنة اللغات الأجنبية على لغة البحث العلمي العربي بدل العربية"(الضرورة والخطورة والتحديات). وعالجت فيه الإشكالية التالية: **كيف هيمنت اللغات الأجنبية على لغة البحث العلمي؟ هل سببه القوة العلمية للغة؟ أم قوة العلوم التي تنقلها اللغة؟ ما الظروف التي صنعت ضعف اللغة العربية في عقر دارها؟ وما سبل ترقية اللغة العربية؟**

أما عن أهمية وأهداف البحث: فالوعي بضرورة تطوير البحث العلمي في البلدان العربية، من أجل النهوض بلغتنا، وإشراك الباحثين، والهيئات الفاعلة وأصحاب القرار، وأهمها المجامع اللغوية العربية.

ومنهج البحث كان وصفيا تحليليا. والخاتمة: كانت خلاصة ضمنتها نتائج البحث، وأهمها: الاعتراف بغلبة اللغات الأجنبية في البحث العلمي العربي، لا يعني الاستسلام والتقليل من شأن لغتنا العربية، لذلك وجب البحث عن سبل إعادة مكانة اللغة العربية علميا.كذلك الواجب ترقية اللغة العربية في الميادين والمشاريع الحيوية، كالمصطلح والترجمة، والتعريب، وصناعة المعاجم. مع الحرص على ترقية البحث العلمي في الوطن العربي، فاللغات تضمن مكانتها بقوة ما تنقله من ابتكارات علمية.

إنّ اللغة العربية ستأخذ مكانتها في الميادين العلمية تدريجيا، إذ يجب عليها الاستعانة باللغات الأجنبية في نقل وتلقي العلوم في الجامعات في الوقت الراهن، وكذلك الاتكاء على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية والعكس.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، اللغة العربية، اللغة الأجنبية، الهيمنة، الترجمة.

Abstract :

The observer of scientific research language in the Arab world notices that foreign languages have predominated over the Arabic language. Therefore, the title of the research was: "The Dominance of Foreign Languages over Arabic Scientific Research Language Instead of Arabic (Necessity, Danger, and Challenges)." It addressed the following problem: How did foreign languages dominate the scientific research language? Is it due to the scientific strength of the language or the strength of the sciences conveyed by the language? What are the circumstances that have weakened the Arabic language in its own territory? And what are the ways to promote the Arabic language?

As for the importance and objectives of the research: raising awareness of the necessity to develop scientific research in Arab countries, for the advancement of our language, involving researchers, active bodies, decision-makers, and most importantly the Arab

linguistic academies.

The research methodology was descriptive-analytical. The conclusion summarized the research results, the most important of which is: recognizing the dominance of foreign languages in Arabic scientific research does not mean surrendering or diminishing the importance of our Arabic language. Therefore, it is necessary to seek ways to restore the status of the Arabic language scientifically. Also, it is imperative to promote the Arabic language in vital fields and projects such as terminology, translation, Arabization, and dictionary production. While ensuring the promotion of scientific research in the Arab world, languages maintain their status by effectively conveying scientific innovations.

Arabic will gradually regain its position in scientific fields, as it must currently rely on foreign languages for the transmission and reception of sciences in universities, as well as rely on translation from foreign languages into Arabic and vice versa.

Keywords: scientific research, Arabic language, foreign language, dominance, translation.

1. مقدمة

إن المتأمل للغة البحث العلمي في الوطن العربي يلحظ أن الغلبة فيها أصبحت للغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، لذلك كان عنوان البحث: : "هيمنة اللغات الأجنبية على لغة البحث العلمي العربي بدل العربية"(الضرورة والخطورة والتحديات). وعالجت فيه الإشكالية التالية: كيف هيمنت اللغات الأجنبية على لغة البحث العلمي؟ هل سببه القوة العلمية للغة؟

أم قوة العلوم التي تنقلها اللغة؟ ما الظروف التي صنعت ضعف اللغة العربية في عقر دارها؟ وما سبل ترقية اللغة العربية؟

أما عن أهمية وأهداف البحث: فالوعي بضرورة تطوير البحث العلمي في البلدان العربية، من أجل النهوض بلغتنا، وإشراك الباحثين، والهيئات الفاعلة وأصحاب القرار، وأهمها المجامع اللغوية العربية.

ومنهج البحث كان وصفيا تحليليا. والخاتمة: كانت خلاصة ضمنتها نتائج البحث، وأهمها الاعتراف بغلبة اللغات الأجنبية في البحث العلمي العربي، لا يعني الاستسلام والتقليل من شأن لغتنا العربية، لذلك وجب البحث عن سبل إعادة مكانة اللغة العربية علميا. كذلك الواجب ترقية اللغة العربية في الميادين والمشاريع الحيوية، كالمصطلح والترجمة، والتعريب، وصناعة المعاجم. مع الحرص على ترقية البحث العلمي في الوطن العربي، فاللغات تضمن مكانتها بقوة ما تنقله من ابتكارات علمية.

إنّ اللغة العربية ستأخذ مكانتها في الميادين العلمية تدريجيا، إذ يجب عليها الاستعانة باللغات الأجنبية في نقل وتلقي العلوم في الجامعات في الوقت الراهن، وكذلك الاتكاء على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية والعكس.

2 أولا. أسباب هيمنة اللغات الأجنبية على لغة البحث العلمي العربي

1.قوة اللغة علميا وقوة العلوم التي تنقلها

ولأن منطق القوة يفرض نفسه، فالبقاء للأقوى، فإذا اعترفنا بغلبة اللغات الأجنبية في ميدان البحث العلمي في البلدان العربية، فلنا أن نتساءل هل الغلبة كانت بقوة اللغات الأجنبية علميا؟ أم بقوة العلوم التي تنقلها؟ والذي يقابله اعتراف بضعف اللغة العربية، أو ضعف في الإنتاج العلمي في الدول العربية.

فيجبب أن يكون البحث في اللغة العربية في ذاتها لتصبح لغة الحوار والمنطق والرقمنة ولتكون لغة يتساوى فيها المضمون مع الواقع، فالحق يقال إننا ما نزال

نستعمل لغة أدبية عقيمة من العلمية، لغة فيها بعض الثغرات في مجال الخطاطة، فلم نبحث بالقوة المطلوبة لتجديد آلياتها لتكون لغة علمية في مواقع العلمية، ذات مصطلحات علمية تبتعد عن التعبيرات البلاغية، واللغة الشعرية والأدبية، وتكون لغة برهانية عقلانية محاجة (بلعيد، في النهوض باللغة العربية، دت، صفحة 23)

ولتدارك ذلك فإنها مسؤولية الباحثين والهيئات والمراكز المختصة في ترقية اللغة العربية علميا. وسنفصل الحديث في ذلك في المحور الثاني من المداخلة.

وفي ظل ذوبان الفروق والمسافات المكانية والزمانية التي أسهمت فيها جوانب الاتصالات الحديثة، أصبحت الإفادة من الأمم والشعوب الأخرى سانحة بصورة يسيرة، ولاشك أن الحياة الحديثة المتطورة التي كان من جوانبها التطور العلمي والتقني الذي وصل إليه الغرب في ميادين شتى، أدت إلى إفادة الأمم قاطبة والعربية خاصة من علومها، مما تطلب نقلها إلى المؤسسات التعليمية، وأصبح إرسال البعثات على قدم وساق، حتى تكونت لدينا عقليات أفادت من تلك العلوم ونقلتها إلينا، وأصبحت جزءا من مقررات العلوم في المؤسسات التعليمية (الدبيان، 16،17 /1427/01هـ، صفحة 8)،

فإذا كنا قبلنا بنقل تلك العلوم، هل نقبل أيضا بلغات تلك العلوم للتعليم والتعلم؟

لقد طرحت هذه المسألة جدلا كبيرا بين الباحثين والدارسين، فنجد عبد الرحمن الحاج صالح يرفض الثنائية اللغوية المستعملة في كثير من القطاعات

والإدارات، والتي سببها الموروث الاستعماري وجاء في قوله: ونتعجب ممن يذكر الثنائية اللغوية وحدها كظاهرة اجتماعية في العالم الثالث، ولا يذكر معها ظاهرة أخرى وهو الاكتفاء باستعمال اللغة الأجنبية وحدها في بعض القطاعات، فغياب العربية في هذه القطاعات هو أخطر بكثير (صالح، 2012م)،ص11.

ومن جهة أخرى شجع على الثنائية اللغوية في ميدان البحث العلمي حيث يقول عبد الرحمن الحاج صالح: وقد تكون الثنائية التي تكون فيها العربية على حد سواء مع اللغة الأجنبية في الزمان الذي نعيش فيه شيئا إيجابيا في اكتساب المعارف الجديدة. (صالح، 2012م)، ص11

ويؤكد بان لجوء الناس إلى اللغات التي تقوم بمهمة البحث العلمي بفضل ما ينتجه وما يبدعه أصحابها. فيترتب على ذلك تسلط اللغة الأجنبية ذات النفوذ على النشاط الفكري وبالتالي ميل السلطات إلى فرض التعليم للعلوم في الجامعات بالإنجليزية أو الفرنسية (صالح، 2012م)، ص14.

فمسألة الصراع اللغوي التي ظهرت في العصر الحديث بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، لعوامل عدّة، قد يكون أقربها الإرث الاستعماري ومخلفاته، فنجد للغة المستعمر الغلبة. في محاولة لطمس الهوية العربية الإسلامية، ومنها الجزائر، وقد ظهرت جهود الإصلاحيين في حفظ مكانة اللغة العربية، وإفشال خطط المستعمر الرامية لمحو الشخصية الجزائرية عن طريق محاربة لغتها العربية.

ومع ذلك فقد أدرك الإصلاحيون قيمة اللغات الأجنبية وفي طليعتها الفرنسية بالنسبة للجزائريين _كأداة_ لا غنى عنها للعلم والعمل والرقي الفردي والجماعي، باعتبارها لغات الفكر والآداب والفنون العالمية، والعلوم والتكنولوجيا والاتصالات والصناعة.

لذلك دأبوا على الدعوة إلى تعلّمها باعتبارها مفتاح العلوم الحديثة، كما كتب ابن باديس عام 1926"لغتان متآخيتان في هذا القطر كتآخي أبنائهما وضروريتان لتمام سعادته كضرورة اتحاد الناطقين بهما، هما اللغة العربية واللغة الفرنسية...إن الذي يحمل علم المدنية العصرية اليوم هو أوروبا، فضروري لكل أمة تريد أن تستثمر ثمار تلك العقول النافعة وتكتنه دخائل الأمور الجارية، أن تكون عالمة بلغة حية من لغات أوروبا...ومما لا يرتاب فيه والواقع شاهد أن مقدار كل أمة في اللحاق والتخلف بركب الحضارة، بنسبة كثرة وقلة انتشار لغة فيها من لغات أوروبا" (العربية، 2010م)،251،250. ويرى صالح بلعيد أن المصطلح العربي لكي يحقق الانتشار والمنافسة، فإن ذلك مسؤولية الجميع:

_مسؤولية الحكومات العربية

_ مسؤولية المؤسسات اللغوية والمصطلحية

_مسؤولية الجامعات

_مسؤولية دور النشر

_مسؤولية الفضائيات ووسائل الإعلام

_ مسؤولية بنوك المصطلحات

_مسؤولية مؤسسات الترجمة (بلعيد، مقالات لغوية، 2009م)، ص282-284.

وإجمالا لما سبق يمكن القول: أن اللغة العربية في الوقت الراهن لا يجب أن تستسلم لغلبة اللغات الأجنبية بأن تكون لغة العلوم في التلقي والنقل، وإن ظهر تفوق اللغات الأجنبية، لكن لا مانع من المزاوجة في استعمال اللغتين، في انتظار تحسن أوضاع العربية التي هي مسؤولية الجميع أفراد وجماعات كما سبق الذكر.

2. العولمة والتبعية الثقافية والقوة الاقتصادية

إن ثورة العولمة تتسارع وتتزايد أنماطها يوميا، وهذا يعني إعادة النظر في قرارات وإجراءات تتناسب مع الزمان والمكان والتعليم الحديد (بلعيد، مقاربات منهاجية، 2004م)

تواجه اللغة العربية في ظل الواقع الحضاري الذي تعيشه مشكلات عدّة، فالإنجازات العلمية الوافدة إلينا تسبق اللغة العربية إلى حياة الناس ومراكز التعليم ووسائل الإعلام، مما يجعل اللغة العربية تتخلف أمام اللغات الأجنبية، التي تفرض نفسها من خلال وقائع مادية تقدّمها، وتجذب إليها ألسنة الناس واهتماماتهم، الأمر الذي يفسح المجال أمام اللغات الأجنبية كي تشكل بديلا عمليا للغتنا، فمن خلال هذا الوضع الحضاري تقف اللغة العربية في حالة

دفاع عن وجودها بين أبنائها، وهي تواجه غزوا حضاريا ولغويا من خلال مصطلحات وأفكار واردة. والحقيقة أن العولمة والغزو الثقافي مشكل عام، ظهر تأثيره في حياة الناس في عالمنا العربي في مختلف المجالات، ومختلف الفئات العمرية.

3. التحديات الواجبة لترقية اللغة العربية وتفعيلها في الميدان العلمي

3. 1 استعمال اللغة العربية والاعتزاز بها

في مرحلة ماضية كانت لغة الضاد هي لغة الاستعمال في كل القطاعات في المجتمعات العربية الإسلامية في عصر أوج نهضة الحضارة العربية الإسلامية. وبحكم الطبيعة الاجتماعية للغة فقد تقدّمت حتما اللغة العربية وثقافتها بحيث أصبحتا ذاتي اهتمام عالمي في الشرق والغرب، وبخاصة في المجالات المعرفية والعلمية.

وفي المرحلة المعاصرة نشاهد أيضا تأثر اللغة العربية، كمادة اجتماعية، بمحيطها الاجتماعي في تطورها وتراجعها. فلا يخفى في العصر الحديث أن قدرة اللغة العربية على الاستعمال في العلوم والمعارف المعاصرة قد وقع اكتسابها من مبادرة وقرار إعطاء لغة الضاد الفرصة لذلك في بعض المجتمعات العربية. بينما حرمت اللغة العربية من تلك الفرصة الاجتماعية في بعض المجتمعات العربية الأخرى. إن سوريا والعراق معروفان بنجاحهما في تعريب العلوم والمعارف الحديثة، الأمر الذي مكّن اللغة العربية من القدرة العالية على تدريس الطب والتخصصات العلمية الأخرى الدقيقة والتقنيات. وبذلك تتأكد

مقولة أن اللغة كائن حي اجتماعي ينمو وينضج ويتقدّم إذا لم يحرم مطلقا من التفاعل الكامل مع كل أوجه الحياة مجتمعة (علوي، 2007م)، ص43.

وإن استعمال اللغة الفعلي بأي كيفية، وأي ميدان كان هو الوسيلة الوحيدة لحصول الناطق بها على الملكة اللغوية الكافية في استخدامها من جهة، ولتكيّف اللغة وتطورها بالزمان الذي نعيش فيه، واستجابتها لما يتطلبه العصر من جهة أخرى (صالح، 2012م)،ص 18.

ويمكن التأكد من أننا بحاجة ماسّة إلى تعزيز مبدأ الاعتزاز بالعربية لدى المتخصصين في العلوم المختلفة، حتى يحرصوا عليها، ومن ثمّ يكونوا سفراء ووسطاء بين لغة تلك العلوم والعربية عن طريق نقل المعارف إلى الأمة العربية بوساطة الترجمة والتعريب، وذلك من باب تنظيم العلاقة بين اللغتين (الدبيان، 16،17 /1427/01هـ)، ص14.

3. 2النهوض بالبحث العلمي في شتى الميادين

اللغة مثل العملة قيمتها في قيمة ما تنقله وبقاؤها ببقاء قيامها بهذا فاللغة التي لا تنقل المعلومات الطلائعية ذات القيمة الموضوعية في سوق التبادل العلمي والتكنولوجي تصير غير مطلوبة عند الجميع (صالح، 2012م)، ص14. ويدعو مازن الواعر إلى تجند العلماء للنهوض بالعربية: "إذا أردنا علما نافعا لمعالجة الظواهر العربية لا بد أن يكون هناك علماء حقيقيون بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وأن يحقق العالم العربي مقولة كان يقولها علماؤنا العرب

القدامى: ما نمت وما قمت إلا وعلى صدري الكتاب" (الأنشاصي، 2007م)، ص121.

3.3ضبط اللغة العربية لتكون لغة علمية

وجدير بكل العرب المشتغلين بالعلوم الآن أن يلموا بكل خصائص اللغة العربية ويتفهموها ويتدربوا على الإفادة منها في تطوير وإشاعة لغة علمية عربية موحدة يؤلفون بها ويدرسون ويبحثون. وطالب الباحث الجامعات العربية وناشدها بأن تدرج مقياس يدرس "خصائص العربية والأداء العلمي" وقد كثرت الخطب الحماسية عن قدرة اللغة العربية عن استيعاب حياة العصر، وعن ريادتها عالميا في القرون الوسطى في مجال الأداء والتأليف العلمي. (بلعيد، مقاربات منهاجية، 2004م)، ص24. فلا توجد موانع تجعلنا لا نعمل في الاتجاه الذي يجعل اللغة العربية لغة علمية لها ما عليها من كمال ونقص، فهي ليست مقدّسة، فمثلها مثل اللغات الأخرى، فهي معرّضة للتطور، وستلحق الرّكب متى وقع الاهتمام بها.

4.3 التغلب على مشاكل المصطلح العربي

وتكمن أزمة المصطلح العلمي العربي في عدم وجود المنهجية العلمية لدى علمائنا أو مؤسساتنا المصطلحية، أو بالأحرى منهجيات متضاربة، وأجمل الباحث أسباب ذلك بما يأتي:

_اللغة العربية لا تتطور بسرعة ولا تضع المصطلح العلمي بسرعة، لما لها من خصائص.

_النشاط الحضاري، والنشاط العلمي السابق للغة العربية.

_ عدم وجود عاصمة لغوية تحميها.

_مجامع ومؤسسات لغوية محلية وقومية.

_ العمل الفردي لا الجماعي (بلعيد، مشكلة المصطلح العلمي في الوضع أم الاستعمال، 2003م) 3، ص74.

5. الترجمة

يقول "صالح بلعيد" أنّ الترجمة شأنها شأن مؤسسات أخرى، وهي قليلة في الوطن العربي. ونوّه بجهود المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف الذي أسدى وما زال يسدي للغة العربية زخما من ترجماته العلمية، ويحتاج إلى مد يد المساعدة والعون من قبل الجامعة العربية ومنظمة الأنسكو. واقترح أن تختص هذه المؤسسة بقضايا الترجمة في الوطن العربي لتغطية عجز المصطلح العلمي في المقام الأول (بلعيد، مقالات لغوية، 2009م)،ص 284 .

6. وضع المعجم العربي

المعجم باعتباره المخزون المفرداتي للأفراد، ويمثل قدرة المتكلم المستمع في لسان ما. وهذه القدرة لابد أن ينشأ بينها وبين التصورات الذهنية المختلفة توازن. وقد يختل هذا التوازن كلما حدثت هوّة بين هذين الطرفين.

وتتمثّل هذه الهوّة في حدوث مفاهيم جديدة لا نجد لها ما يقابلها من مصطلحات في لسان معيّن. وهذا ما يحث في البلاد العربية، وذلك بالنظر إلى كثرة المفاهيم الواردة إلينا يوميا، بسبب المعلومات العلمية والتكنولوجية والفنية التي لا تفتأ تتزايد يوما بعد يوم. ولا نجد لها المقابلات الملائمة نتيجة

الزخم المعرفي الذي يغزونا من جهة، ونقص في الطاقة التعبيرية من جهة ثانية (علوي، 2007م)، ص74.

7. دور التعليم

استقر الرأي منذ بدء النهضة التعليمية في عالمنا العربي منذ مطلع القرن الماضي على التعليم باللغة القومية، فبدأت كلية طب القصر العيني في أبي زعبل في (1827)، وهي تعلم علومها الطبية بالعربية، وتلتها في ذلك الكلية السورية(1866)، وكذلك فعلت جامعة القديس يوسف(1875)، واستمر التعليم بهذه اللغة إلى أن جاء المستعمر في الثمانينات وفرض تحويل لغة التعليم إلى لغته، ولكن المدرسة الطبية العربية السورية صمدت، وراحت تعلم بالعربية. وعند تأسيس الجامعات العربية الأخرى منذ أوائل القرن الحالي نصت قوانينها على أن يكون التعليم فيها باللغة العربية، وبرغم ذلك فقد بدأ التعليم فيها بلغة المستعمر واستمر على ذلك. رغم دعوات تعريب التعليم بكل مراحله، وفي كل الأقطار العربية. (مجلة اللسان العربي، ص59.)

وإن غياب اللغة العربية من التعليم العالي للعلوم ومن البحث العلمي الطلائعي، وغيابها كلغة تعليم في المدارس الخاصة، وبالتالي استبداد اللغة الأجنبية بهذا التعليم، وهذا البحث وسيادتها فيها سيادة كاملة فهذا هو التدهور الحقيقي (صالح، 2012م)، ص13.

8. دور الإعلام

إن وسائل الإعلام يمكن أن تكون عاملا ناجعا في سبيل نشر المصطلح العربي على نطاق واسع، فالجريدة الناجحة توزع كل يوم، كما المجلة الناجحة الدورية، أكثر مما يوزع من كتب علمية، أو أدب علمي في عام، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية تبث إلى الناس طوال ساعات اليوم. إن وسائل الإعلام للأسف لا تستخدم استخداما مفيدا أو منتجا في الوطن العربي بخاصة في المجال العلمي (صالح، 2012م)، ص166.

9. التعريب

إن مسألة التعريب مسألة قديمة جديدة، وهي مسألة شائكة، وإن كانت متفاوتة من بلد عربي إلى آخر، وتزداد هذه القضية تعقيدا بالقدر الذي يحل فيه اللسان الأجنبي محل اللسان العربي أو يزاحمه (علوي، 2007م)، ص70.

إن التعريب عمل طليعي لا تقدم عليه إلا النخبة المتعلمة المثقفة المؤمنة بلغتها وبمستقبل أمتها إيمانا راسخا، وإن التردد في حمل راية التعريب هو هروب من المسؤولية وتخاذل عن حملها.

وإن التقدّم والتطوّر السريع للعلوم والتقانات في مختلف التخصصات يعطي فيضا لا متناهيا من المصطلحات الجديدة التي تتكاثر كل يوم، وهذا وإن كان سببا في معارك التعريب، فإنه يجب أن يقف عثرة، أو نأخذه حجة للتقاعس عن التعريب، والتعليم بالعربية في جميع المراحل والتخصصات (مجلة اللسان العربي)، ص213.

ولعل ما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، غياب الإرادة السياسية الحقيقة في إنجاز التعريب، وفي مقابل هذا يظل الاستقلال السياسي الحقيق وإيجاد خطة واضحة للتعريب والتمسك بهذه الخطة، والحرص على إنجاحها، هي الرهانات الحقيقية لتعريب البلاد ومؤسساتها (علوي، 2007م)، ص71.

الخاتمة

وفي الختام نجمل خلاصة البحث في النتائج الآتية:

1 _إن لغة البحث العلمي في الوطن العربي كانت الغلبة فيها للغات الأجنبية على حساب العربية لعدة عوامل أهمها: العولمة والقوة الاقتصادية وقوة اللغات علميا وقوة العلوم التي تنقلها.

2 _ لتقوية اللغة العربية يجب الحرص على تقوية البحث العلمي في البلدان العربي، فقوة اللغات تحققها قوة العلوم التي تنقلها أكثر من قوتها هي في ذاتها.

3 _لا يجب الاستسلام أمام غلبة اللغات الأجنبية، وأن تكون وحدها من نتعلم بها العلوم، لكن يجب التسليم بضرورة المزاوجة بين اللغتين في التعليم الجامعي وفي بعض التخصصات ريثما ترتقي لغتنا العربية، وتأخذ مكانتها العلمية تدريجيا.

4 _ أسباب غلبة اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، ليست علمية كلها. فبعضها مما أفرزته أيادي العولمة، أو مما خلّفته أقدام الاستعمار.

5 _ غلبة اللغات الأجنبية، وإقصاء اللغة العربية من الميادين العلمية خطر علينا وعلى لغتنا، وكذلك التعصب للغة العربية، وإقصاء اللغات الأجنبية وعلومها خطر أكبر، يصيبنا بالتأخر والتقهقر لعلومنا ككل.

6 _ نعتز باللغة العربية، ونثبت ذلك بكثرة استعمالها في حياتنا اليومية، والعلمية ما أمكن، ولا بأس من الاستعانة بالترجمة لنقل العلوم.

7 _لضمان مكانة اللغة العربية، في التعليم الجامعي والتخصص العلمي والتقني، تحتاج لضبط خاص في مجال المصطلح، والمعاجم المتخصصة. لضمان جودتها وصلاحها بأن تكون لغة علمية.

التوصيات

1 _الاعتراف بغلبة اللغات الأجنبية في البحث العلمي العربي، لا تعني الاستسلام واليأس والتقليل من شأن لغتنا العربية، التي حققت التحضر وكانت لغة العلوم الدقيقة والطبية لدى الكثير من العلماء العرب والمسلمين، لذلك وجب التحدي والبحث عن سبل إعادة مكانة اللغة العربية علميا.

2 _يجب ترقية اللغة العربية في الميادين والمشاريع الحيوية، كالمصطلح والترجمة، والتعريب، وصناعة المعاجم.

3 _يجب الحرص على ترقية البحث العلمي في الوطن العربي، فاللغات تضمن مكانتها بقوة ما تنقله من ابتكارات ومستجدات علمية.

4 _ ستأخذ اللغة العربية مكانتها في الميادين العلمية تدريجيا، إذ يجب عليها الاستعانة باللغات الأجنبية في نقل وتلقي العلوم في الجامعات في الوقت الراهن، وكذلك الاتكاء على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية والعكس.

قائمة المراجع

(بلا تاريخ). *مجلة اللسان العربي، ص59.*

(بلا تاريخ). *مجلة اللسان العربي.*

إبراهيم بن علي الدبيان. (17،16 /1427/01هـ). الصراع اللغوي. *جامعة القاهرة* (صفحة 8). القاهرة: جامعة القاهرة.

المجلس الأعلى للغة العربية. (2010م). *اللغة العربية بين التهجين والتهذيب*. الجزائر: دار الخلدونية للطباعة والنشر.

حافظ إسماعيلي علوي. (2007م). *اللسان العربي وإشكالية التلقي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

خالد الأنشاصي. (2007م). اللسانيات والشعر. *مجلة اللسانيات*، صفحة ص121.

صالح بلعيد. (2003م). مشكلة المصطلح العلمي في الوضع أم الاستعمال. *مجلة اللسانيات*، صفحة 74.

صالح بلعيد. (2004م). *مقاربات منهاجية*. الجزائر: دار هومة.

صالح بلعيد. (2009م). *مقالات لغوية*. الجزائر: دار هومة.

صالح بلعيد. (دت). *في النهوض باللغة العربية*. الجزائر: دار هومة.

عبد الرحمن الحاج صالح. (2012م). الثنائية اللغوية بالنسبة للغة العربية. صفحة 11.

Journal
Available online at:
ISSN : المجلد (الرقم1) العدد(الرقم1)(السنة2024): رقم صفحة البداية77 – رقم نهاية الصفحة96

أعظم عقلية علمية في تاريخ البشرية

The greatest scientific mentality in human history

كوثر بركة

قسم الأدب العربي- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

البريد الإلكتروني: barkakawthar85@gmail.com

تاريخ الاستلام:2023/11/29 تاريخ القبول: 30./12/2023 تاريخ النشر: مارس 2024

الملخص:

الهدف من هذه الورقة البحثية التأكيد والبرهنة على أن العلماء المسلمين إبّان ازدهار الحضارة الإسلامية، كان لهم إسهام أصيل في شتى فروع المعرفة الإنسانية، في الفلسفة والتاريخ والطب والكيمياء، والجغرافيا والفلك وحتى الأدب وعلم الإجتماع وغيرها الكثير ،تأليفا وترجمة وإبداعا وشرحا وتعليقا ونقدا ، لتشهد هذه الحضارة حركة علمية لا نظير لها ، ولكون هذه العلوم كثيرة وروادها كثر، وقع اختيارنا على العالم "أبي الريحان البيروني"، وإسهاماته البارزة في تأسيس شتى العلوم ، والذي كان له فضل كبير في إضافة الكثير للمكتبة العربية وهي إضافات ترتقي بل وتسبق الجهود المعاصرة ، وبذلك نرد كيد بعض المستشرقين الذين حاولوا إنكار فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية التي تنسب هذا العلم إليها ،

وقد استندت في بحثي هذا على عدة دراسات سابقة منها مقال " أبو الريحان البيروني لمحات من سيرته وشعره" للموسوي حميدة حسن وكذا مقال "البيروني أعظم موسوعي" الإبراهيم نواف وغيرهم الكثير.... كما سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي ،و لقد نسقت

المادة على نحو يجمع بين السياق الموضوعي ، والتسلسل التاريخي.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، العلم، البيروني ، الإسلام، العبقرية، التطور.

Abstract**:**

The purpose of this paper is to emphasize and demonstrate that, at the time of the prosperity of Islamic civilization, Muslim scholars made an inherenot contributin to various branches of human knowledge .In philosophy, history, medicine, chemistry, geography, astronomy, even literature, sociology and many more, composing, translating, creativity, explaining, commenting and critical, This civilization will witness an unparalleled scientific movement, and because this science is so many of its pioneers, this time we have chosen the world Abu Rayhan al-Biruni, and his outstanding contributions to the founding of various sciences .Which has been a great credit for adding so much to the Arab Library, which is an addition that elevates and even precedes contemporary efforts .In doing so, Kid answered some orientalists who tried to deny the credit of Islamic civilization for the Western civilization to which this science is attributed .My research was based on several previous studies, including the article "Abu Rayhan al-Biruni for glimpses of his biography and poetry" by Moussawi Hamida Hassan, as well as the article "Al-Peruni the Greatest Encyclopedic" by Ibrahim Nawaf and many others....In this research I took the historical approach, and I coordinated the article in a way that combines the substantive context, and the historical chronology.

Keywords: Civilization, Science, Bayroniy, Islam, Genius, Evolution.

1.مقدمة

لقد شهدت الحضارة العربية الإسلامية حركة فكرية علمية نشطة خصوصا في العصر العباسي وهذه الحركة العلمية، من ترجمة وإبداع فكري في كل مجالات المعرفة، لا يمكن تجاوزها عند التأريخ لتاريخ العلم لدى الحضارات المختلفة و المتعاقبة و لذلك يعد الماضي جوهر حضارة الأمم المعاصرة فهو من يرفعها أو يضعها أرضا و كما يقول الدكتور محمد الصادق عفيفي : " الماضي هو القوة الدافعة التي تمكننا من رسم مستقبلنا على أسس علمية وطيدة الأركان و الأمم التي تمتلك الماضي وتعرف ماهيته وتستطيع أن تستخلص منه أسباب رقيها وأن تتلاقى منه أسباب انحلالها تلك هي الأمم الحية التي كتب لها الخلود.(صادق، 1977 / 1976، صفحة 1)"

وتاريخ حضارتنا التي شهد له كل عالم منصف بالعالم يرشدنا إلى أننا رفعنا لواء الفكر العلمي منذ أواسط القرن السابع ميلادي، وإلى أن حضارتنا هي أطول الحضارات الأنسانية عمرا وأعظمها أثرا وفكرا في المدينة الحديثة، وظل هذا التفكير الذي لم ينفرد بتكوينه بقعة واحدة من بلاد العربية والمسلمة بعينها بل جمع بتراكم الأجيال العربية جمعاء، هو النبراس الذي يستضيئ به العرب والمسلمون وهو القبلة التي يقصد إليها طلاب المعرفة من العالم الأوروبي ومن مختلف المشارب ليقتبسوا منه ويرتشفوا من مناهله.

وجيلنا جيل تخمر عقله بهيمنة العقلية الكلونيالية جيل منبهر بالآخر ويرى بمنظاره الذي أظهر صورة مشوهة لتاريخ حضارتنا بل وطمس هويات علمائنا وانتحل إنجازاتنا ، يقول الدكتور قدري حافظ طوقان في هذا :" والواقع أن هنالك الكثيرين من من يجهلون الخدمات التي قدمها العرب للحضارة والعلوم بل أن بين هؤلاء من يعتقد أن العقل العربي لم يستطع في الأدوار التي مرت عليه أن يقدم للمدنية خدمات علمية جليلة كالتي قدمها الغرب وأنه لم يكن بين العرب من استطاع أن يصل علميا درجة غاليلو وكبلر وفرادای وباكن وغيرهم (طوفان، 2013، صفحة 1)

ولعل ساحة الميادين العلمية تعد أنسب وسط تستخرج منه الحقائق ولا مجال فيها للتزيف و الانتحال و أو المغالطة " فعندما نقول : أن الخوارزمي قد ابتكر الجبر ، ووضع كثيرا من نظريات الحساب والهندسة ، وأن ابن الهيثم ابتكر نظريات الضوء ، وأن الرازي

توصل إلى التعريف والتفرقة بين الجدري والحصبة ، وأن قانون ابن سينا ظل يدرس في أوروبا حتى القرن الماضي ، فإن هذه الوقائع وغيرها من مئات الحقائق العلمية ، لا يستطيع أن يغالط فيها مكابر ، أو يجحدها منكر (صادق، 1977 / 1976، صفحة 2)

ومما لا شك فيه أن الحضارة الحديثة بأصولها وقوانينها ومكاسبها الكبيرة في كشف آفاق العلم والمدنية والتكنولوجيا المعاصرة ، ليست إلا نتيجة مباشرة لحضارتنا، ومن هنا تظهر الضرورة في أن ندرس هذا التاريخ العلمي لأن فيه انفتاحا على العقيدة الإسلامية ، ودراسة للتاريخ الإسلامي ،و للنماذج الإنسانية ، والأعلام التي يجب الاقتداء بها ،وبمثل هذا الاتجاه يثق أبناؤنا بالتراث الإسلامي فكرا ،وعقيدة ومبادئ وبغير هذا الطريق سيظلون غرباء على التراث الإسلامي.

وأخشى أن يصدق أبناؤنا ادعاءات المستشرقين المجحفين الذين يحاولون الانتقاص منا على أن العرب والمسلمين تلقوا كل شيء جاهزا ممن سبقوهم وأنهم عاجزون بالفطرة والخلقة عن أي إبداع فكري كما ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين أمثال المستشرق الفرنسي ارنست رينان Ernest Renan (1823 - 1892) ،وتجدر الإشارة إلى أن الإبداع الفكري لأسلافنا لم يقتصر على العلوم الدينية، كعلمي الحديث والتفسير وعلمي الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام، ومختلف العلوم اللغوية وإنما امتد ذلك الإبداع إلى العلوم التجريبية من طبيعيات وفلك ورياضيات، كذلك امتد إلى ما نسميه اليوم بالعلوم الاجتماعية الإنسانية، كعلمي الاجتماع والتاريخ، بالإضافة إلى الفن من أدب وشعر وموسيقى الخط والزخرفة الرسم والعمارة وعلم الجغرافيا....الخ .

وإننا في بحثنا هذا، ولكون هذه العلوم كثيرة وروادها كثر، وقع اختيارنا هذه المرة على العالم أبو الريحان البيروني، وإسهاماته، والذي كان له فضل كبير في إضافة الكثير للمكتبة العربية وهي إضافات ترتقي بل وتسبق الجهود المعاصرة فمن هو البيروني وما هو نسبه ؟وماهي أهم إنجازاته ومؤلفاته ومواقفه العلمية؟ و العلوم التي اجتهد فيها؟ وكيف كانت نظرته للأدب واللغة العربية ؟ ولقد نسقت المادة على نحو يجمع بين السياق الموضوعي ، والتسلسل التاريخي ، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم صورة واضحة حول هذا العالم الفذ وإنجازاته.

نبذة عن حياة البيروني

1.2 نسبه وموطنه :هو محمد أبو الريحان بن أحمد البيروني من كبار العلماء في القرن الرابع والخامس هجري ولد في الثاني من ذي الجة عام 362 هجري ، في منطقة يقال لها " بيرون " من توابع خوارزم تقع بضواحي مدينة "كاف "التي كان يرتادها كل التجار من كافة الأجناس ، أما بنسبة للقبه" البيروني" فهي لفظة يطلقها أهل مدينة خوارزم على كثير الترحال وتعني الغريب ،يقول حميدة حسن الموسوي في نسبه وموطنه :"وفي هذا الإقليم الذي يقع شمال إيران و ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني 362هـ و 973 م أما لقبه البيروني فهناك من رده إلى بيرون التي يفصح ياقوت بمعناها { إن هذه النسبة معناها البراني لأن بيرون بالفارسية معناها " برّا" وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق يعني أنه من برا البلاد}" (حسن، أبو ريحان البيروني لمحات من سيرته وشعره، صفحة 1)

أما بالنسبة لأسرته فيبدو أنها من الفلاحين الفقراء الذين غالبا ما كانوا يعيشون في ضنك وعزو.

2.2 **سيرته وحياته :** كان البيروني باحثا مسلما فيلسوف ورياضيا من أصحاب الثقافة الواسعة ، أبرز سماته وهي سمة جميع علماء المسلمين : الربط بين العلم والدين ،كما كان رحالة وفلكيا وجغرافيا و صيدلانيا ومؤرخا ومترجما وصف بأنه من أعظم العقول التي عرفتها الثقافة الإسلامية ،وكان من أهم سماته الشخصية التي تميز بها عقليته الفذة إلى جانب الذكاء نادر وصبر ومثابرة ودقة في الملاحظة لا مثيل لها وبراعة في الإستقراء مع زهد في المال والسلطان ،وقد عرف البيروني بالذكاء وسعة الحيلة كما عرف بالتنكر للمطامع وقد كشف البيروني عن أنه يمارس العلم خالصا لوجه العلم ، لا للتقرب به إلى الملوك ، ولا لتكسب ، حتى أنه ما كان يقبل هدايا الملوك مقابل العلمه " يقول العلامة : ادوارد سخاو : البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ وأكبر ظاهرة في تاريخ العلم في الحضارة الإسلامية ولعله مما يفسر هذا الحكم الخطير ما يرويه "ياقوت" عن "النيسابوري" يقول :«دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه وقد حشرج نفسه

وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال : كيف قلت لي في يوماً في حساب الجدّات الفاسدة؟ فقلت له إشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة؟ قال لي يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ألا يكون خيرا من أن أخليها وأنا جاهل بها؟ فأعدت عليه ذلك وحفظه ، وعلمنى ما وعد ، وخرجت من عنده وأنا في الطريق سمعت الصراخ عليه» (الجندي، 1983، صفحة 112)

وقد كان البيروني مجرد صبي يتيم إسمه محمد بن أحمد وتكنيه أمه بأبي الريحان، فقد كان منذ طفولته عاشقا لطبيعة يقضي نهاره بين الزهور والبساين والنباتات ويسير في الغابات ويصعد التلال والهضاب ويعدو في الصحراء ويعود في كل يوم إلى بيته ومعه باقة من أعواد الريحان يضعها في كوب وينشر الهواء عطرها في البيتهم الهين نوقد كان والد أبي الريحان تاجرا صغيرا وحين مات لم تجد أمه مفرا لكسب رزقها هي وولدها من جمع الحطب لتبيعه في سوق ضاحية بيرون وكان أبو الريحان يساعدها في بيع الحطب .

وقد أتيح للبيروني أن يتلقى تعليما جيداً ، دعمته أسفاره العديدة وتجواله وتعطشه الشديد إلى المعرفة الذي ألهب مشاعره منذ حداثة سنه ، وفي سن مبكرة أيضا إنصرف اهتمامه إلى جوانب من العلم ، لم تكن معهودة لدى الدارسين في العصور الوسطى ،عاش البيروني عمره، وهو يحمل في صدره رغبة كبيرة في تحصيل العلم رغم أنه نشأ نشأة الفقراء المعوزين، وعاش حياة ضنكة يملؤها العذاب والشقاء ،ولكن الفقر و حوادث الزمن لم يمنعه من تفجير مواهبه وتقوية عزيمته ، ولم يبق مغمور الاسم بل أصبح يدوي صداه في الآفاق، فقد تلهفت نفسه منذ صباه لطلب العلم ولم تردعه المصائب التي جابهته، بل احتملها قوي الإرادة أبي النفس ويذكر في ترجمته انه كان مشغوفاً بالعلم، " وقد كان لا يرى إلا مكبا على تحصيل العلم عاكفاً على التصنيف فلا تفارق يده القلم ولاعينه النظر ولا عقله التفكير" (الصفدي، 1982م /1402هـ، صفحة 193)

3 .تخصصاته

هو فلكي ممتاز بشهادة علماء الفلك من الفرنجة والعرب: "فقد خص 95 كتبا من أصل 146 المعروفة له من أجل دراسة علوم الفلك والرياضيات والمواضيع المتعلقة بها مثل الجغرافيا الرياضية ." (ويكيبيديا)

وهو في الجيولوجيا ممتاز بشهادة علماء الجيولوجيا المعاصرين: فقد وضع طريقة لقياس نصف قطر الأرض من خلال ملاحظته إرتفاع الجبال وافترض وجود قارة تفصل بين أوروبا وآسيا وتم اكتشاف صحة تنبؤه فيما بعد باكتشاف القارتين الأمريكيتين . و"ناقش في الجيولوجيا موضوع طغيان البحر على اليابسة وانحساره عنها وذكر وادي السند كمثال على مقولته هذه، وأشار إلى خضوع منابع النيل إلى قواعد علم توازن القوى الساكنة الموائع الهيدروستاتيكا وتحدث عن المياه الجوفية وتشكل الينابيع الطبيعية" (فارس، صفحة 101)

وفي التاريخ مؤرخ محقق مدقق واسع الاطلاع :أهم كتبه حول التاريخ السياسي هو كتاب (المسامرة في أخبار خوارزم) ولا نعرف عنه شيئا ،كما نجد في كتبه الآثار الباقية عن القرون الخالية وكتاب القانون المسعودي نقشا طويلا حول الأحداث التاريخية مع لائحة من اسماء الملوك ، كما تطرق أيضا إلى موضوع نشأة الأرض .

مؤرخ ديني : يعد البيروني أحد العلماء الذين انكبوا على دراسة الأديان ، فقد كان رائدا في مجال دراسة الأديان المقارنة ، فقد درس الديانة الزرادشتية واليهودية والهندوسية والمسيحية والبوذية والإسلامية وغيرها من الأديان وقد درسها دراسة موضوعية محاولا فهم أفكارها ومنطقها بدلا من نفي معتقداتها.

وفي الرياضيات عالم ضخم اقتبس منه "نيوتن" و"جريجوري" كثيرا من القوانين الرياضية ،وفي الجغرافيا يعد أبا للجغرافية البشرية

عالم أدوية ودارس معادن : يعد كتابه (الصيدلة في الطب) أهم إنجازاته في علم الأدوية وهو موسوعة دوائية شاملة ، قام فيها بوصف جميع الأدوية التي كانت معروفة في وقته

كما رادف أسماء تلك الأدوية بنظائرها من لغات أخرى مثل : السريانية واليونانية والأفغانية والبلوشية والكردية وبعض اللغات الهندية .

أديب وفيلسوف : فلم يمنعه اهتمامه بالعلوم التطبيقية على إسهامه في مجال الأدب فقد كتب شرح ديوان أبي تمام ، وختار الأشعار والآثار كما ألف في الفلسفة الكثير منها كتاب المقالات والآراء والديانات ، وكتاب مفتاح علم الهند وكذا الجوامع الموجودة في خواطر الهنود وغيرها الكثير .

فيزيائي بامتياز : فقد ساهم في إدخال المنهج العلمي التجريبي إلى علم الميكانيك ووحّد علمي الفيزياء الساكنة وعلم الحركة وجمع أبحاث علم الفيزياء المائية الساكنة مع علم الحركة واضعا أساس العلوم " الهيدروديناميكية "

عالم إنسان : فقد كان البيروني مثل العلماء المعاصرين يدون الملاحظات حول مجموعة معينة من الناس ويتعلم لغتهم ويدرس نصوصهم الأولية ثم يقدّم نتائجه بموضوعية وحيادية مستخدما دراسة وثقافة معاصرة (ويكيبيديا).

4. بداية مسيرته العلمية منذ سن الحادية عشر:

ذات يوم التقى "أبو الريحان" بعالم نبات من اليونان رآه في البساتين يجمع الزهور ويقطع النباتات النادرة فجرى بينهما حديث جعل العالم اليوناني ينبهر من فطنة أبي الريحان ومعرفته لنباتات وتحدثه بلغتين لغة دينه وهي العربية ولغة قومه وهي الفارسية، فقرر اصطحابه على أن يساعده "أبو الريحان" في عمله وجمع الزهور والأعشاب مقابل أجر يكفيه للعيش هو وأمه وفي المقابل أيضا يعلمه العالم اليوناني ما أوتي من علم في النبات ومن هنا بدأت رحلة العالم الصغير وكان عمر أبي الريحان آن ذاك إحدى عشرة سنة .

مضت ثلاث سنوات وبلغ أبو الريحان من العمر أربعة عشرة سنة ،وأجاد لغتي اليونان والسريان وعرف على يدي العالم اليوناني الكثير عن عالم النبات وازداد حبا

لعلوم الطبيعة، وفي وذات يوم قرر العالم اليوناني العودة إلى وطنه لينتقل أبو الريحان إلى رفقة عالم آخر إنه عالم الفلك والرياضيات الأمير أبي نصر منصور والذي كان له الفضل في تكوين البيروني ،وقد تكفل به وبأمه وأفرد له بيتا في كاف له ولأمه، وغرفة خاصة به في قصره لدرسه، وراح يعلمه ما يعرفه من علوم الفلك والرياضيات حتى بلغ أبو الريحان من العمر تسع عشرة سنة .وبعد أن أحاط علما بكل ما عرفه الأقدمون والمعاصرون له في هذه العلوم طمحت نفسه لمعرفة المزيد في علوم الفلك والرياضيات ففكر في معرفة الموقع الجغرافي لمدينة كاف ،بنسبة لخط العروض فصنع لذلك حلقة مقسومة إلى أنصاف الدرجات رصد بها ارتفاع الشمس عن الأرض فوق المدينة وقت الزوال وبالحسابات الرياضية نجحت محاولة "أبي الريحان" وعرف خط العرض الذي تقع عليه مدينة كاف ،فأطلع معلمه على ما توصل له فاندهش معلمه من اكتشافه هذا وقرر أن يقدمه إلى أستاذه "عبد الصمد ابن عبد الصمد الحكيم" ليعلمه ما يعلمه من علوم الأقدمين ،فأصبح "عبد الصمد" أستاذا وصديقا لأبي الريحان يغمره بعلمه ويسعه بماله إلى أن بلغ البيروني من العمر ثلاثا وعشرين سنة .

ولكنه لم يلبث أن اضطر عقب إحدى الانقلابات إلى مغادرة وطنه ، وهو في سن العشرين ، فرحل إلى سواحل بحر قزوين بجرجان هربا بعلمه وخوفا عليه من الضياع ،فقد كان عصره عصراً اضطربت فيه أمور البلاد وكثرت فيه المؤامرات والخصومات المذهبية والمنازعات الطائفية وقد عاني من هذا الجو المشحون بالتوتر والخوف ومرت عليه أيام عصيبة يقول :«وأنا ممتحن بما أن نوحاً ولوطاً عليهما السلام لم يمتحنا بمثله وراج أن أكون ثالثهما في نيل رحمة الله والغياث بمنه وفي كتابه تحقيق ما للهند يشكو مما يلاقيه العلماء من عناء وسوء معاملة وأن الذي يتمسك بالحق المطابق للقرآن فيه موسوم بالكفر والإلحاد محكوما على دمه بالإراقة. » (حسن، أبو ريحان البيروني لمحات من سيرته وشعره ، 2006، صفحة 2)

وفي جرجان التقى بأكبر أساتذته وهو الطبيب والفلكي المسيحي أبو سهل عيسى ، وتعرف على "ابن مسكويه" ، و"أبي نصر العراقي" ، و"أبي الخير ابن الخمار" ،كما كان له

اتصال مع نظيره العالم "ابن سينا" وهناك أيضاً كسب ثقة أمير جرجان وطبرستان "شمس المعالي قابوس بن وشمكير الزياري" والذي كان أديبا يقرض الشعر والعلم من كل طرف ، فنال عنده منزلة سامية ومحلاً رفيعاً وهو الذي أهداه "البيروني" كتاباً في التاريخ وفي علم الأقوام (اثنوغرافيا) عنوانه (الآثار الباقية عن العصور الخالية) ، عرض فيه ودرس وقارن التقاويم المعروفة لدى مختلف الشعوب ، كما نجد فيه العديد من التفاصيل عن معتقدات وعادات وأعياد النصارى والفرس واليونان والعرب .

ونظرا لتأزم الأحوال السياسية ومقتل ابن المأمون ،حمل البيروني أسيرا عندما احتل محمود الغنزوي خوارزم ليشمله بعدها في رعايته واصطحبه مع جمهرة من العلماء إلى الهند أين أقام بها أعواما و تعلم اللغة السنسكريتية وقد استفاد "أبو الريحان" من هذه الإقامة الطويلة فألّف كتابه المعروف بكتاب الهند المعنون بـ (كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) «أودع فيه نتيجة دراساته من تاريخ وأخلاق وعادات وعقائد وآداب وعلوم الهند ، ومن جملتها ما كان عندهم من المعرفة بصورة الأرض ويعتبر هذا الكتاب بحق إحدى الدعامات التي تشرف الأدب العربي ، سواء بسبب كثرة المعلومات المتوفرة فيه أم لقيمة بعض الصفحات على الصعيد الأدبي ، وهكذا أصبح البيروني واسطة العقد بين لإسلام والهند بعد أن نقل إليهم ما كان عند المسلمين من علوم ويصف المستشرق روزن منذ أكثر من سبعين عاماً هذا الكتاب بأنه أثر فريد في بابه لا مثيل له في الأدب العلمي القديم أو الوسيط سواء في الغرب أم في الشرق» (حميدة، 2008، صفحة 2).

ثم غادر "البيروني" الهند عائدا إلى "غزنة" في "أفغانستان"، أين لبث في بلاط الأمير الغزنوي الثاني "مسعود" ، والذي شجعه على تأليف كتابه في علم الفلك (القانون المسعودي) وهو عبارة عن وجيز في الرياضيات توجد نسخة منه في مكتبة الجامعة الإسلامية في "عليكرة بالهند ، فضلاً عن عدة مؤلفات علمية أقل منه أهمية . وبعد ذلك ، أي في عهد ابن الأمير مسعود ألف كتاباً عن الأحجار الكريمة .

وقد وصف أبو الفرج المالطي كتبه بأنها كانت محكمة غاية في الاتقان و وصفه بأنه أعظم شخصية رياضية برزت على مسرح الحضارة الإسلامية ، فقد كان أبرز ما جاء عنه هو طبعه العلوم التي يعمل فيها المسلمون بطابع الإسلام وتحريرها ونقلها من المفهوم الإغريقي الاستاتيكي للسكون إلى المفهوم الإسلامي الديناميكي ،وقد رقى بالعلم من مرحلة الترجمة والنقل إلى مجال الإبداع ، فكان عمله علامة على بزوغ الطابع الإسلامي وتألق المنهج العلمي التجريبي الإسلامي وبما يتصل بأصالة منهجه العلمي الإسلامي أنه قرب قضايا علم الفلك من إشارات القرآن فكان بذلك من أول من ربط بين أصول القرآن الكلية وبين خفايا العلوم وأسرارها (الجندي، 1983، صفحة 4)

1.4. <u>أما بمجال الإضافات التي قدمها في مجال العلوم فيمكن القول أنه أضاف الكثير في مجال الميكانيك والأهيدروستاتيكا</u>

[أولا:] أنه وضع قانونا جغرافيا كان أساسا لأكثر القسموغرافيات الشرقية ، وقد عمل بقوله سائر المشرقيين في الكليات.[ثانيا:] بحث في تقسيم الزاوية وقسمها إلى ثلاثة أقسام متساوية وكان ملما بعلم المثلثات وكتُبه تدل على أنه عرف قانون تناسب الجيوب .[ثالثا]:أعد تجربة لحساب الوزن النوعي واستعمل في ذلك وعاء مصبه متجه إلى أسفل ، ومن وزن الجسم بالهواء تمكن من معرفة مقدار الماء المزاح ومن هذا الأخير وزن الجسم في الهواء حسب الوزن النوعي ،له كتاب في خواص العديد من العناصر والجواهر وفوائدها التجارية والطبية ،ورد في بعض كتبه شروح وتطبيقات لبعض الظواهر التي تتعلق بضغط السوائل وتوازنها [رابعا:] كتب عن الأرقام الهندية وتغير قيمها بتغير مواضعها[خامسا] : حلَّ كثيراً من المسائل الهندسية التي لا تُحل بالبرجل والمسطرة وحدهما [سادسا]:فسّر ظهور الماء من الآبار بأنه الماء في مثل الأواني المستطرقة بلغ في إحداها مستوى هو لاشك بالغ مثله في كل آنية متصلة بها أخرى [سابع]: قارن بين سرعة الصوت وسرعة الضوء وقال : إن سرعة الضوء غاية في الكبر.[ثامنا:] حدد الثقل النوعي لعدد من المعادن والأحجار تحديدا دقيقا لا يكاد يذكر

الفرق بينه وبين الوزن الحديث اليوم وهي معادن الذهب والزنق والنحاس والحديد والصفيح والرصاص والياقوت والزمرد واللؤلؤ والبلور.

المادة	أوزان البيروني		الاوزان الحديثة
الذهب	١٩و٢٦	١٩و٠٥	١٩و٢٦
الزئبق	١٣و٧٤	١٣و٥٩	١٣ر٥٦
النحاس	٨و٩٢	٨و٨٣	٨و٨٥
النحاس الاصفر	٨و٦٧	٨و٥٨	نحو ٤و٨(٥٢)

(العزاوي، البيروني حياته وفكره، 1983، صفحة 5)

[تاسعا]: ومن الأعمال العظيمة التي حققها البيروني أيضا هي دوران الأرض وهذه عبارته في تحقيقها : "أما عن دوران الأرض وانقذاف ما على سطحها في الفضاء من حيوان ومساكن فالجاذبية تمسكهم ، فكل شيء على الأرض مرتبط مرفوع إلى مركز الأرض ، إما أن الأرض تدور ولا تدور السماء أو أن الأرض ساكنه وحولها السماء تدور ، فأمران مسببان ، فالأرض منسوبة إلى السماء ، كالسماء منسوبة إلى الأرض ، والمسألة مسألة نسبية ." (الجندي، 1983، صفحة 123)[عاشرا] : كان البيروني أول من أشار إلى وجود الجاذبية حين قال أن الأجسام تسقط بسبب قوى الجذب المتمركزة فيها وهذا التعبير فتح الآفاق لنيوتن ليعطيه معنى أكثر شمولية .[الحادي عشر]ومن أجل الأعمال التي قام بها كذلك في علم الفلك : وضعه نظرية جديدة لاستخراج مقدار محيط الأرض مستخدما في ذلك معادلة لحساب نصف قطر الأرض سماها بعض الإفرنج بقاعدة البيروني (طوفان، 2013، صفحة 176)

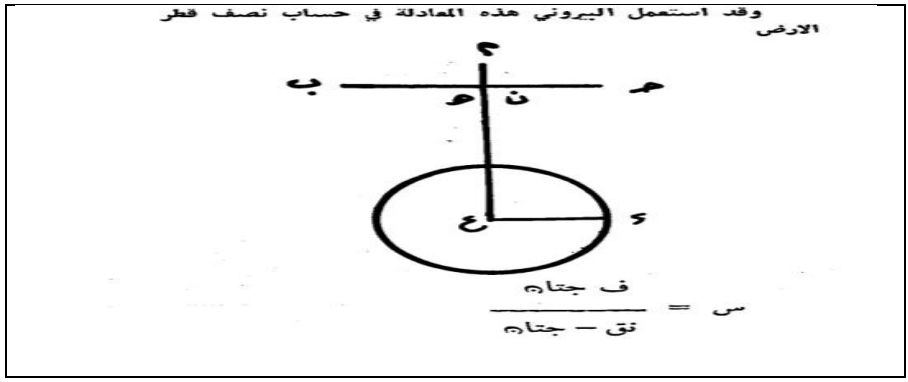

(العزاوي، البيروني حياته و فكره، 1983، صفحة 4)

2.4أعظم الإضافات التي قدمها البيروني نظراته في الاقتصاد وهي :

اتخاذ قيمة ثابتة للمعاملة في المبادلات لتسهيل تبادل المصالح كما أبان عن الضرر الذي ينجم من الغلو في تقدير الذهب والفضة واختنازهما "وقد كشف عنها الدكتور "محمد يحيى الهاشمي" في أطروحته عن منابع كتاب الأحجار وقد استمدها من كتاب "البيروني" (الجماهر في معرفه الجواهر)، قال:«إنه اكتشف له نظرية اقتصادية لها تماس قوى من النظريات الاقتصادية الحديثة أقرت بقيمتها الدوائر الغربية ، فقد دعا البيروني إلى اتخاذ قيمة ثابتة للمعاملة في المبادلات لتسهيل تبادل المصالح وقد اشتق البيروني فكرته من حاجة المخلوقات إلى المعيشة ، كما تحدث عن الضرر الذي ينجم من الغلو في تقدير الذهب والفضة واختزانهما وقال لأول مرة أن قيمة الذهب هي ليست من معدنه بل بحسب الاعتبار» (الجندي، 1983، صفحة 116)

كما عالج معضلة كنز الأموال وعدم تركها للتداول مستشهدا على ذلك من القرآن «وأنكر البيروني كنز الأموال واستدل بالآية القرآنية﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا يفقونها﴾، ويشير "البيروني" إلى حكمة الله في خلقهما، لانتفاع الناس بتردّدهما في أيديهم أثمانا لمصالحهم فإذا ما كنزا انقطع انتفاع الخلق بهما وخواف أمر الله ومشيئته فيهما» (الجندي، 1983، صفحة 116).ولاشك أن هذه النظرية تبدي براعة "البيروني" وعمق

فهمه ، واتصال فكره بجوهر الإسلام وتكشف عن جانب آخر من مجال عظمته ومناحي عبقريته .

3.4 وفي مجال التاريخ كانت له عدة أعمال منها كتبه :

[الآثار الباقية عن القرون الخالية] : يعد أعظم موسوعة في التاريخ والجغرافيات فقد أجرى فيه مقارنات واسعة بين علوم اليونان والهند والعرب وبين عقليات الامم و بين الأديان وفرقها وتاريخها حتى وصف بأنه أوسع العلماء شمولا للعلم في نطاق الحضارة التي ينتمي اليها ،وقد ترجم هذا الكتاب إلى الأنجليزية وطبع عام 1789 في لندن وتوجد منه نسخة بالعربية .[تحقيق ما للهند من مقولة :] الذي انتفع به الأوربيون انتفاعاً لا حد له في دراساتهم عن الهند . ويسمى أيضا "تاريخ الهند ": ترجمه أيضا "سخاو" إلى الإنجليزية وطبع في لندن سنة 1777 وفيه تناول البيروني لغة أهل الهند وعاداتهم وعلومهم . (علي، 1981، صفحة 159) [القانون المسعودي]: ويعد أعظم موسوعة في الفلك والهندسة والجغرافيا." صنفه البيروني للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي بعد أن أظهر هذا السلطان ميله لدراسة علم النجوم ويعتقد ناليون أن هذا الكتاب منقطع لا نظير له لأنه جامع شامل غزير المادة دقيق المباحث يدل على النبوغ والعبقرية » (العزاوي، البيروني حياته وفكره، 1983، صفحة 8)

4.4. وقد خلف البيروني مائة وثمانين كتابا ضاع منها الكثير، ومن أبرز ما بقي منها:

[القانون المسعودي] [كتاب استخراج الأوتار في الدائرة]، [استعاب الوجوه الممكنة في صفة الاسطرلاب]، [التطبيق إلى حركة الشمس]، [كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب]،[في تحقيق منازل القمر]، [جلاء الأذهان في زيج البتاني] ، [رؤية الهلال]،[والآثار الباقية عن القرون الخالية] [مقاليد علم الهيئة "مفتاح علم الهيئة"] كتاب فلكي لم يبقى له أثر،[الجماهر في معرفة الجواهر] يعد بمثابة دليل جيولوجي في معرفة العناصر المعدنية والجواهر ، [تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة] ،[ترجمة كتاب الباتانجالي في الخلاص من الارتباك] ،[كتاب ملخص التاريخ]،[العمل بالأسطرلاب]

، [جدول التقويم]، [تذيب فصول الفرغاني] ، [مقالة في تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمورة من الأرض]، [إيضاح الأدلة على كيفية سمت القبلة]، [تصور أمر الفجر والشفق في جهة الشرق والغرب من الأفق]، [المسائل الهندسية]،[رسالة البيروني]،[كتاب عن محمود الغنزوي ووالده].[كتاب التفهيم الأوائل صناعة التنجيم]وهو كتاب كتبه باللغتين الفارسية والعربية على شكل أسئلة وأجوبة في علم الرياضيات وعلم الفضاء ، [كتاب في المخدرات والأدوية والصيدليات سماه : " الصيدنة والطب"] وكان الكتاب عن ماهية الأدوية ومعرفة أسمائها ،[الجواهر]وهو كتاب في الشعر تناول ثمانين (80) شاعراً عربياً واشعارهم. "قال ياقوت في معجم الأدباء : أما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر ،وقال البيهقي : إن تصانيفه زادت على حمل البعير" (الجندي، 1983، صفحة 116)

5. من شهادات الباحثين والعلماء الغرب عن عظمة البيروني ومدى أهمية ما قدمه للإنسانية :

[يقول ما يرهوف :] «أن اسم البيروني أبرز اسم في موكب العلماء الكبار الواسعي الأفق الذين يمتاز بهم العصر الذهبي في الاسلام» [وقال جورج سارطون] في كتابه (المدخل إلى تاريخ العلم):« إن النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي هو عصر البيروني ، ذلك لأن أبا الريحان في هذه الحقيقة التاريخية كان علما لامعا في آفاق المشرق والمغرب ، فالبيروني هو الذي وضع أسس علم الجغرافيا البشرية وبعض العلوم الرياضية في وقت كانت أوربا فيه ما تزال تستعمل النظام الروماني في التقويم الزمني وكانت معلومات الأوربيين في الهندسة لا تتجاوز هذا المستوى الهزيل الذي كان معروفا قبل فيثاغورث في حين أن بلاد العرب وقتئذ كانت شعلة متوهجة تنبعث منها أضواء ساطعة من العلوم الرياضية الراقية ."[يقول يوسف شخت] : «الحق أن شجاعة البيروني الفكرية وحبه للاطلاع العلمي وبعده عند التوهم ، وحب الحقيقة وتسامحه وإخلاصه ، كل هذه الخصال كانت عديمة النظير في القرون الوسطى فقد كان البيروني في الواقع عبقريا مبدعا ذا بصيرة شاملة نفاذة" (الجندي، 1983، صفحة 123)[ويقول

العالم الألماني سخاو]":« إن البيروني من أفخم العقول التي ظهرت في العالم ، وأنه أعظم علماء عصره ، ومن أعظم العلماء في كل العصور»[ويقول المستشرق الامريكي آرثر ابهام بوب]" : «في أية قائمة تحوى أسماء أكابر العلماء يجب ان يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع ، وغير ممكن أن يكتمل أي تاريخ للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم الإنسان أو مقارنة الديانات دون الإقرار بمساهمته العظيمة في كل علم من تلك العلوم ."[ويقول المستشرق الروسي فاسيلي فلاديمير]:"إن البيروني هذا المؤلف المنقطع النظير ، قد ألف كتبا قيمة في قوانين الهيئة ، في الدول و تواريخ الأقوام المختلفة ، وألف كتابا قيما عن الهند يدل على نظر واسع ، وحياد علمي تام ، وفي كتابه عن الهند معلومات واسعة عن الأديان والعلوم التي فيها ، وقد استقاها البيروني من منابعها الهندية المباشرة "

6. رأي البيروني بلغة الضاد

وإذا كان البيروني فارسي العرق ، فإنه عربي الثقافة قرآني الروح ، وقد تعصب للغة العربية وأحبها ، فتحدث البيروني بأكثر من سبع لغات جعله يعقد مفاضلة بين هذه اللغات" فقد كان يعتقد أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة الجديرة بأن تكون لغه علم يقول :" ودين والدولة عربيان توأمان ، ترفرف على أحدهما القوة الألهية وعلى الآخر اليد السماوي وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أعطار العالم فازدانت وحلت إلى الأفئدة وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأفئدة" (حسن، أبو ريحان البيروني لمحات من سيرته وشعره ، 2006، صفحة 1)،وقد كان البيروني شغوفا بالعربية حتى أنه استهجن لغته الفارسية فهو يفضل الهجاء بالعربية على المدح بالفارسية ويعتبرها مجرد لغة لتسامر لا ترقى إلى أن تكون لغة علم،يقول لويس ماسينيون : "لقد فهم البيروني تمام الفهم الدور العالمي للغة العربية بوصفها بين اللغات السامية أهم لغة حضارة وأدرك مقدرتها على التركيز والتجريد ، وتراكيبها عن طريق الاشتقاق بدلا من الزوائد وقيمتها في توحيد المتكلمين بها." (حسن، أبو ريحان البيروني لمحات من سيرته وشعره ، 2006، صفحة 1)

لم يترك البيروني حقلاً من حقول المعرفة لم يطرق بابه حتى في الأدب ،ولعل صفة البيروني العلمية غطت على صفته الأدبية ، ومع ذلك كان أديبا عالما بفنون الأدب ،ذا طبع رقيق وملكة شعرية سامية ولكن أسلوبه الذي تغلب عليه التقريرية، لا يصلح للتعبير عن المشاعر الرقيقة بذلك القدر ولعل السبب في ذلك هو انشغاله بالعلم المجرد مما جعله رجلا واقعيا لا يركض وراء الألفاظ البراقة والصور الخلابة ، إلا أن القليل من البحث في شعر البيروني يقدم لنا مادة ثمينة عن حياته ونظرته عن معاصريه من أمراء وعلماء ولديه الكثير من الأشعار يذكر فيها من صحبهم من الأمراء والعلماء من أول حياته ومَن لهم فضل عليه ويتحسر على فراقهم وهذه بعض الأبيات التي ويمدح فيها "أبا الفتح البستي":

مضى أكثر الأيام في ظل نغمة على رتب فيها علوات كراسيا
فآلُ عراق قد عراق قد غذوني بدرهم ومنصور منهم قد تولى غراسيا
وشمس المعالي كان برند خدمتي على نُفْرَةٍ مني وقدْ كان قاسيا

وله في الفخر الذاتي، ويرد على أعدائه الذين حاولوا أن ينالوا من قدره:

بجهد شاوتُ الجالبين أئمة فما التبسوا في العلم مثل القتباسي
فما بركوا للبحث عند معالم ولا احتبسوا في عقدة كاحتباسيا
فسائل بمقداري هنُوداً بمشرق وبالغرب من قد قاس قدر عاسيا
فلم يثنهم عن شكر جهدي نفاسةٌ بل اعترفوا طراً وعانوا انتكاسي

ويختتم قصيدته بمدح أبي الفتح البستي:

أبو الفتح في دنياي مالك ربقتي فهات بذكراه الحميدة كاسيا
فلا زال للدنيا والدين عامراً ولازال فيها للقواة مواسيا (الموسوي، 2006، صفحة 11)

وهذا كان بعضا من شعر البيروني، الذي كان أيضا ذا أسلوب ناضج في النثر يدل على أنه لغوي بارع الاطلاع في اللغة وفهم دقائقها ويظهر ذلك في كل كتبه التي ذكرناها سابقا .

الخاتمة:

توفي البيروني في 29 جمادى الآخرة 440 هجري الموافق ل 9 سبتمبر 1048م وكانت وفاته ختام حياة حافلة لرجل حكيم وعظيم . ويعتبر البيروني ، بكل تأكيد ، أحد

ألمع الوجوه التي يمكن أن تعتز بها الثقافة العربية من خلال تاريخ الفكر الإسلامي وأكثرها جاذبية. و ممكن القول على الجملة بأن البيرونى كانت له إضافات علميه بناءة في مختلف العلوم ،وأن أعظم إضافاته هي تحرير منهج المعرفة الإسلامي في العلم وتطبيقه على طريقة القرآن في الربط بين الدين والعلم. وفضلا عن ذلك فقد كان نموذجاً لأولئك الباحثين الذي يستمرون حتى نهاية حياتهم في إثراء معارفهم ، لأن البيروني ظل مدة نصف قرن يعمل بلا توقف على تزويد المكتبة العربية بمؤلفاته العديدة ، وأحد أولئك الأذكياء اللامعين القادرين على إدراك أصعب المفاهيم تبايناً ، وأكثرها تعقيدا، وبعبارة أخرى كان أحد الرجال العالميين من أضراب ليونارد دوفنشي وغوته وسواهما من النابغين الذين قل أن يجود الزمان بأمثالهم.

- **وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث :**

1) أن البيروني قدم مادة علمية ثمينة في ميدان العلوم التطبيقية ، حيث قام بحساب ومعالجة معادلات لا تحل اليوم إلا بالأدمغة الالكترونية الذكية ، واختار أصعب المسائل الهندسية والرياضية وحلها، وتسمى هذه المسائل اليوم «بمسائل البيروني» .
2) وضع نظرية خاصة لتقدير «النسبة التقريبية» الضرورية لحساب مساحات ومحيطات الدوائر، وتمكن من تقدير محيط الكرة الأرضية وقطرها.
3) واهتم بالخواص الفيزيائية لكثير من المواد، وتناولت أبحاثه علم ميكانيكا الموائع والهيدروستاتيكا كما انضم مع ابن سينا إلى الذين شاركوا ابن الهيثم في رأيه القائل بأن الضوء يأتي من الجسم المرئي إلى العين.
4) ومن أبرز ما قام به البيروني أيضا أنه توصل إلى تحديد الثقل النوعي لـ 18 عنصرا مركبا، بعض منها من الأحجار الكريمة، مستخدما جهازا أطلق عليه اسم "الجهاز المخروطي".
5) وفي ظاهرة الجاذبية كان البيروني، مع ابن الحائك، من الرواد الذين قالوا بأن للأرض خاصية جذب الأجسام نحو مركزها.
6) ومن المسائل الفيزيائية التي تناولها البيروني :ظاهرة المد والجزر وسريان الضوء، وضغط السوائل وتوازنها،تأثير الحرارة في المعادن، وتفسير الظواهر المتعلقة بسريان الموائع.

قائمة المصادر والمراجع

1. أنور الجندي، (1983) *نوابغ الإسلام*، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

2. صلاح الدين خليل بن بيك الصفدي(1982) م 1402ه،الوافي بالوفايات الجزء الثامن الطبعة *الثانية* .

3. صالح مهدي العزاوي، (1983) البيروني حياته وفكره، *مجلة المورد العراق* ، المجلد الأول ، العدد الثاني.

4. الموسوي حميدة حسن (2006) أبو ريحان البيروني لمحات من سيرته وشعره ، مجلة كلية الأدب جامعة بغداد ،المجلد الأول ،العدد الخامس.

5. عبد الرحمان حميدة، (2008) ،أعلام الجغرافيين العرب ،دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ،الطبعة الأولى .

6. محمد صادق عفيفي (1976 / 1977) تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخاجنجي القاهرة ، الطبعة الأولى.

7. قدري طوفان ، (2013) *علماء العرب وما أعطوه للحضارة* ، منشورات الفخارية الرياض و دار الكاتب العربي ، بيروت الطبعة الأولى .

8. أحمد علي (1981) ، أ ثر المسلمين في الحضارة الأوروبية،دار الفكر ، الطبعة الثانية .

9. محمد فارس، (1993) موسوعة العلماء العرب والمسلمين وأعلامهم ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، الطبعة الأولى .

10. *ويكيبيديا* .

List of sources and references

1. Anwar Al-Jundi, (1983) The Nawabigh Al-Islam, Lebanese Publishing House for Printing, Publishing and Distribution, first edition.

. Salah al-Din Khalil bin Baik al-Safadi (1982) AD 1402 AH, Al-Wafi 2 bil-Wafiyat, Part Eight, Second Edition.

. Saleh Mahdi Al-Azzawi, (1983) Al-Biruni, His Life and Thought, Al-3 Mawrid Iraq Magazine, Volume One, Issue Two.

Al-Musawi, Hamida Hassan (2006), Abu Rayhan Al-Biruni, 4. Glimpses from His Biography and Poetry, Journal of the College of .Literature, University of Baghdad, Volume One, Issue Five